الخطب المنبرية

عن الهجرة النبوية

إعداد

الدكتور / حسين عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

من الوحي الإلهي

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40]

المقدمة

الحمد لله الذي جعل التاريخ عبرةً لأولي الأبصار، وربط القلوب المؤمنة بحب النبي المختار وحب صحابته الأخيار من المهاجرين والأنصار، والصلاة والسلام على من خطَّ بسنَّته طريق النور في ظلمات الشرك والضلال، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

في كل عام هجري، يتجدد في ذاكرة الأمة حدثٌ من أعظم الأحداث، ومحطة فارقة في تاريخ البشرية: إنه حدث الهجرة النبوية، الذي مثّل نقطة التحوُّل الكبرى من الاستضعاف إلى التمكين، ومن مرحلة البناء الفردي إلى تأسيس المجتمع والدولة.

وهو ليس مجرد حدث عابر أو انتقال جغرافي، بل كان تأسيسًا لهوية أمة ، وانطلاقةً لدعوة عالمية، وتطبيقًا عمليًا لمنهج متكامل في الإصلاح والبناء.

ومن هنا، تأتي هذه المجموعة من الخطب المنبرية التي تتناول الهجرة النبوية لا بوصفها ذكرى تاريخية، وإنما باعتبارها مدرسة تربوية وفكرية وإيمانية، تستدعي التأمل في دروسها، والاستلهام من معانيها، والاستفادة من هديها في معالجة واقع الأمة الراهن.

ما يميز هذه الخطب أنها لم تقتصر على السرد التاريخي المجرد، بل جمعت بين التأصيل الشرعي، والتحليل الواقعي، والاستنباط التربوي، مع الربط بين الحدث التاريخي والواقع المعاصر؛ لتكون الهجرة منهجٍ عمليٍّ يعالج التحديات التي تواجه الأمة، لا مجرد حدث نحتفي به.

ولفت الأنظار لأهمية التاريخ الهجري كهوية حضارية لأمة الإسلام، والوقوف على أسباب إلغائه كتقويم رسمي لبلاد المسلمين، والعمل على ضرورة إحيائه في حياة المسلمين.

ولتحقيق الاستفادة من السيرة العملية للنبي ﷺ وصحابته :لا تسرد الخطب سيرة النبي كقصص، بل تستخرج منها الدروس المتعلقة بالإعداد، والبذل، واليقين، والعمل المنظم والتخطيط المتقن.

إن هذا العمل المبارك جاء ليقدم للأئمة والدعاة، مادة دعوية ، مستلهمة من مدرسة الهجرة النبوية، باعتبارها منهاجًا دائمًا في التغيير والبناء، لا مناسبة مؤقتة في مطلع العام.
ونسأل الله تعالى أن يكتب القبول لهذا العمل، وأن يجعله لبنة في مشروع نهضة الأمة وهدايتها، وأن يجعل كل من ساهم في إعداده ونشره من الذين قال فيهم :**(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا)** [فصلت: 33]

والله الموفق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه

د. حسين عامر

مدينة لافال – كندا

1 محرم 1447هـ

الخطبة الأولى

التاريخ الهجري

هوية أمة وتاريخ حضارة

عناصر الخطبة:

أولا/ تاريخ التقويم الهجري.

ثانيا/ فطنة الصحابة لأهمية الهجرة.

ثالثا/ أشهر التقويم الهجري.

رابعا/ الأهمية الشرعية للتاريخ الهجري.

الخطبة الأولى

التاريخ الهجري هوية أمة وتاريخ حضارة

تمهيد:

لكل أمة تقويمها الخاص الذي تعتز به، والذي يعتبر جزءا أصيلا من هويتها وتاريخها؛ والأمة الإسلامية كباقي الأمم، لها تقويمها الخاص الذي يعود بها إلى ذكرى مهمة، غيرت مجرى التاريخ فهو يرمز إلى الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة؛ حيث أسس رسول الله – صلى الله عليه وسلم ومن كان معه من المسلمين الصابرين نواة الدولة الإسلامية التي ما لبثت وأن صارت قوة عالمية عظمى تتفوق على أقوى قوتين عالميتين في ذلك الوقت وهما: الفرس، والروم.

عناصر الخطبة:

أولا/ تاريخ التقويم الهجري.

ثانيا/ فطنة الصحابة لأهمية الهجرة.

ثالثا/ أشهر التقويم الهجري.

رابعا/ الأهمية الشرعية للتاريخ الهجري.

أولا/ تاريخ التقويم الهجري

كانت العرب تؤرخ للسنوات بالأحداث الكبيرة، فتقول: عام الفيل، عام الطاعون (طاعون عمواس)، وعام الرمادة.. وهكذا.

والمشهور أن أول من أرخ بالهجرة في الإسلام هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة 17هـ، وبداية ذلك أنه أتت رسالة لأبي موسى الأشعري، أمير البصرة في خلافة عمر، مؤرخا في شهر «شعبان»، فأرسل إلى الخليفة عمر، يقول: **«يا أمير المؤمنين تأتينا الكتب، وقد أرخ بها في شعبان ولا ندري هل هو في السنة الماضية أم السنة الحالية».**

قال ابن حجر في فتح الباري: وذكروا في سبب عمل عمر التاريخ أشياء: منها ما أخرجه أبو نعيم في تاريخه ومن طريقه الحاكم من طريق الشعبي: أن أبا موسى كتب إلى عمر: إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الناس، فقال بعضهم: أرخ بالمبعث، وبعضهم: أرخ بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها، وذلك سنة سبع عشرة.

فلما اتفقوا قال بعضهم: ابدءوا برمضان، فقال عمر: بل بالمحرم فإنه منصرف الناس من حجهم، فاتفقوا عليه.[1]

وروى البخاري في الأدب المفرد، من طريق ميمون بن مهران قال: رفع لعمر صك محله شعبان فقال: أي شعبان، الماضي أو الذي نحن فيه، أو الآتي؟ ضعوا للناس شيئا يعرفونه فذكر نحو الأول.[2]

فجمع عمر الناس، فقال بعضهم: أرخ بالمبعث، وبعضهم أرخ بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرخوا بها، وذلك سنة سبع عشرة.

وعلى الرغم من أن هجرة الرسول من مكة إلى المدينة كانت في 22 ربيع الأول الموافق عام 622 م، إلا أنهم بدأوها من شهر المحرم وذلك لأن شهر محرم كان بدء السنة عند العرب قبل الإسلام ولأنه أول شهر يأتي بعد منصرف الناس من حجهم الذي هو ختام مواسم أسواقهم.

ثانيا/ فطنة الصحابة لأهمية الهجرة

لقد فهم الصحابة – رضي الله عنهم – قيمة الهجرة النبوية، فجعلوها مبدأ للتأريخ، فلم يؤرخوا بمولده ولا ببعثته – صلى الله عليه وسلم – ولا بغزوة بدر التي سجلت أول انتصار للإسلام على الشرك والمشركين، ولا بفتح مكة الذي طهر الله به البيت الحرام من عبادة الأوثان.

إن كل هذه الأحداث تصلح لأن تكون مبدأ للتأريخ الإسلامي، لولا ما يقترن بكل منها من معنى يتضاءل أمام ما تحمله الهجرة من أحداث ودروس مستفادة ونتائج إيجابية.

فالميلاد – ميلاد المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وإن كان هو مبدأ انبثاق النور المحمدي، إلا أنه ربما صرف الناس إلى الاهتمام بذات الشخص،

---

[1] فتح الباري لابن حجر، المجلد 7، صفحة 268 (طبعة دار المعرفة)

[2] الأدب المفرد للبخاري – حديث رقم 563

والإسلام دين مبادئ لا دين أفراد، دين يربط المسلم بربه مباشرة، ولا يصرفه لعبد من عباده وإن كان خير خلق الله – صلى الله عليه وآله وسلم. أما البعثة، فهي في الحقيقة أول مظهر تجلت فيه عناية الرحمن بهداية الخلق من جديد، بعد أن انحرفوا عن الصراط المستقيم، ومع ذلك فإن البعثة لم يتحقق المراد منها إلا بعد الهجرة.

كذلك وقعة بدر وفتح مكة، فإنهما معركتان هامتان، أذل الله بهما الكفر ودولته، ومكن المسلمين في أعقابهما من عدوهم تمكينا، إلا أننا لو نظرنا بعين الواقع لوجدناهما من ثمرات الهجرة.

فهم الصحابة – رضي الله عنهم – أن الهجرة عمل جماعي اشترك فيه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وأهل بيته، وصحابته، وفقراء المسلمين وأغنياؤهم، ورجالهم ونساؤهم، وصغيرهم وكبيرهم، وحرهم وعبدهم، الكل في بناء الدولة سواء، ميزانهم في التمايز ميزان مطلق: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات: 13]

وهنا ذابت العصبيات والعنصريات والقبليات في بوتقة [3]الإيمان والعمل الصالح، وهذا أساس للنجاح في كل عمل، وهذه دعوة الإسلام.

فهم الصحابة – رضي الله عنهم – كيف فرقت الهجرة بين عهدين؛ عهد مكة، الذي كانوا يخافون فيه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم، ولا يقدرون على ممارسة شعائر دينهم، وذاقوا فيه أشد أنواع التنكيل؛ فقتلوا وشردوا وأوذوا وحوصروا وعذبوا، وما آل ياسر وبلال وخباب – وغيرهم الكثير – عنا ببعيد، بل طال هذا الإيذاء النبي – صلى الله عليه وسلم – وعهد المدينة.

وعجبا لهؤلاء القوم الذين خرجوا فرارا بدينهم، بعد مدة يسيرة من الهجرة يعودون إلى مكة فاتحين منتصرين، ويزأر مؤذنهم فوق الكعبة: الله أكبر. لهذا اتخذ المسلمون الأوائل الهجرة عنوانا للتقويم الإسلامي.

---

[3] البوتقة في اللغة: هي وعاء يُصهر فيه المعدن بالنار لاختبار صفائه أو تطهيره من الشوائب، وتُستخدم مجازًا للدلالة على الاختبار الشديد أو الانصهار والاندماج والتمحيص، ومعنى العبارة "بوتقة الإيمان والعمل الصالح:" هي تعبير بلاغي يُقصد به أن: الإيمان والعمل الصالح يُمثلان البيئة الحامية والمطهّرة التي ينصهر فيها قلب المؤمن وعقله ونفسه، فيتصف بالصفاء والصدق والإخلاص، كما تُنقّى المعادن من شوائبها في البوتقة.

ثالثا/ أشهر التقويم الهجري

يتكون التقويم الهجري من 12 شهر قمري كما قال الله تعالى في كتابه الحكيم ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 36]

تقسيمات الشهور الهجرية

قسم العرب الشهور الهجرية إلى قسمين كالتالي:

- **الأشهر الحرم:** وعددها أربعة، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب. وسميت بالأشهر الحرم لأن القتال كان محرما فيها عند العرب في الجاهلية، ولعل هذا مما توارثوه عن الخليل إبراهيم، وبقي الحال على ما هو عليه بعد الإسلام فأقرهم عليها.

وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السنوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان) رواه البخاري.

- **الأشهر الحل:** وهي بقية الأشهر الهجرية، وسميت بالأشهر الحل لأن القتال فيها كان حلالا عندهم.

معنى أسماء الشهور في التقويم الهجري:

رغم أن التقويم أنشئ في عهد المسلمين إلا أن أسماء الأشهر والتقويم القمري كان تستخدم منذ أيام الجاهلية، وارتبط اسم كل شهر بمعنى أو سبب أو زمن كما ذكر المؤرخون.

ويبدو أنها سميت على أزمنة متفاوتة أو كان كل قبيلة لها مسمياتها الخاصة ثم استقرت قريش على هذه الأسماء بدليل تسمية شهر ربيع بهذا الاسم الذي يدل على فصل الربيع ثم جمادى بعده لوقوعه في الشتاء، رغم أن الشتاء أولا ثم يأتي الربيع بعده، ثم تسمية رمضان بعدهما بشهرين لأنه كان يقع في الحر الشديد.

ويدل على هذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعدد الأشهر الحرم:
(ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان)

قال العلماء في شرح الحديث: وإنما قيده هذا التقييد مبالغة في إيضاحه وإزالة للبس عنه، قالوا وقد كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب فكانت مضر تجعل رجبا هذا الشهر المعروف الآن وهو الذي بين جمادى وشعبان، وكانت ربيعة تجعله رمضان فلهذا أضافه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مضر، إذن فمن الواضح تعدد أسماء الشهور في القبائل العربية ثم استقر الأمر على هذه الأسماء التي بلغتنا وهي على النحو التالي:

1. **محرم:** وهو أول شهور السنة الهجرية ومن الأشهر الحرم: سمى المحرم لأنهم كانوا يحرمون القتال فيه.
2. **صفر:** سمي صفرا لأن ديار العرب كانت تصفر أي تخلو من أهلها للحرب.
3. **ربيع الأول:** سمي بذلك لأن تسميته جاءت في الربيع فلزمه ذلك الاسم.
4. **ربيع الآخر:** سمي بذلك لأنه تبع الشهر المسمى بربيع الأول.
5. **جمادى الأولى:** وسميت جمادى لوقوعها في الشتاء وقت التسمية حيث جمد الماء.
6. **جمادى الآخرة:** سمي بذلك لأنه تبع الشهر المسمى بجمادى الأولى.
7. **رجب** وهو من الأشهر الحرم. سمي رجبا من الترجيب وهو التعظيم، يقال رجب الشيء أي هابه وعظمه.
8. **شعبان:** لأنه يتفرق الناس فيه ويتشعبون طلبا للماء. وقيل لأن العرب كانت تتشعب فيه (أي تتفرق)؛ للحرب بعد قعودهم في شهر رجب.
9. **رمضان** وهو شهر الصوم عند المسلمين. سمي بذلك لرموض الحر وشدة وقع الشمس فيه وقت تسميته، حيث كانت الفترة التي سمي فيها شديدة الحر، ويقال: رمضت الحجارة، إذا سخنت بتأثير الشمس.

10. **شوال** وفيه عيد الفطر، لشولان النوق فيه بأذنابها إذا حملت أي نقصت وجف لبنها، فيقال تشولت الإبل: إذا نقص وجف لبنها.
11. **ذو القعدة** وهو من الأشهر الحرم: سمي ذا القعدة لقعودهم في رحالهم عن الغزو والترحال فلا يطلبون كلأ ولا ميرة على اعتباره من الأشهر الحرم.
12. **ذو الحجة** وفيه موسم الحج وعيد الأضحى ومن الأشهر الحرم. سمي بذلك لأن العرب قبل الإسلام يذهبون للحج في هذا الشهر.

الإعجاز في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: 25]

السنة الهجرية 354 يوما تقريبا، يبدأ كل شهر هجري مع بداية وقت القمر الجديد، حيث يكون تعداد أيام أشهر التقويم الهجري حسب دورة القمر حول الأرض، وتتناوب الأشهر بين 29 و30 يوما، فالفارق بينها وبين السنة الميلادية 11 يوم.

هذه الآية من الإعجاز العلمي في كتاب الله، فثلاثمئة عام ميلادي تساوي بالضبط ثلاثمئة وتسع سنوات هجرية، فالله عز وجل بين المدة على التقويمين، الشمسي، والقمري. ﴿ **ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين**﴾ هذا بالسنة بالشمسية ﴿**وازدادوا تسعا**﴾ على التقويم القمري، وليس الهجري، إذ لم يكن وقتها تقويم هجري.

لم قال هكذا: (وازدادوا) ألم يكن كافيا أن يقال: ثلاثمئة وتسع سنوات؟

فالجواب: أن عندنا السنة القمرية، وعندنا السنة الشمسية، فهي ثلاثمئة عام شمسية، وثلاثمئة وتسعة أعوام قمرية.

والقرن الشمسي يزيد عن القرن القمري بثلاث سنوات في كل مئة عام، فكل مئة سنة شمسية تساوي مئة وثلاث سنين قمرية، فهي ثلاثمئة عام شمسية، وثلاثمئة عام وتسعة أعوام قمرية، ومعنى القمرية: أننا نعد أشهرها برؤية القمر.

وجاء النص القرآني معبرا عن الفريقين فقال: ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مئة سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾ **[الكهف: 25]**؛ لأن الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال هم أهل قريش، الذي أرشد قريشا إلى أن تسأل هم أهل الكتاب، فأراد الله أن يقول: لبثوا ثلاثمئة سنين بحسب من أرشد وهم أهل الكتاب بالسنة الشمسية، وازدادوا تسعا على الثلاثمئة بحساب من سأل وهم: قريش الذين يحسبون بالسنة القمرية، وهذا الجواب لا يقدر عليه إلا الله الذي أحاط بعلم أهل الكتاب، وبعلم قريش؛ لأن العلم بالفوارق بين السنين الشمسية والقمرية قلما يهدى إليه كل واحد ، لكن الله تبارك وتعالى علم نبيه ما لم يكن يعلم، وإلا فإن علم الله أعظم من ذلك وأجل.

رابعا/ الأهمية الشرعية للتاريخ الهجري

أولا / يقوم على التاريخ الهجري ثلاثة من أركان الإسلام، هي:

1 الزكاة: فحول الزكاة في الأموال، وغيرها هو سنة هجرية كاملة.

2 الصوم: في شهر رمضان وهو الشهر التاسع من الأشهر الهجرية.

3 الحج: في شهر ذي الحجة، وهو الشهر الثاني عشر من الأشهر الهجرية.

وهناك كثير من العبادات؛ مرتبطة بالتاريخ الهجري، مثل:

- عدة المرأة حال وفاة زوجها.
- الأضحية.
- السنن التطوعية، مثل: صيام ستة أيام من شوال، صيام الأيام البيض، صيام يوم عرفة، صيام يوم عاشوراء، وغيرها من العبادات.

خامسا / التاريخ الهجري رمز الهوية الإسلامية

يعد التاريخ الهجري بمثابة رمز وهوية للأمة الإسلامية، حيث يرتبط التاريخ الهجري بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كانت الهجرة المنطلق الذي بدأ منه تكوين الأمة الإسلامية، وترتبط الأحداث التاريخية الإسلامية العظيمة بالأشهر الهجرية، ومثال ذلك الانتصارات والفتوحات الإسلامية في غزوة بدر، وفتح مكة، ومعركة حطين، ومعركة عين جالوت، وغيرها من المعارك الإسلامية.

سبب التحول من التاريخ الهجري إلى الميلادي:

الواقع التاريخي يقول: إن الأمة الإسلامية لا ترتبط بتاريخها أو تقويمها الهجري إلا في حالات الازدهار والرقي والتقدم، وحينما يتحقق لها واقعيا مرتبة الشهود الحضاري على الأمم كما أراد لها القرآن الكريم.

وإذا تتبعنا تاريخنا وتقويماتنا التاريخية وجدنا أن ما قبل سقوط الخلافة العثمانية كان يؤرخ له بالتاريخ الهجري أو قبل سقوطها بقليل، فكان يؤرخ للأحداث والمعارك والوقائع والمواليد والوفيات بالتاريخ الهجري.
في القرن الثامن عشر الميلادي عندما أرادت الدولة العثمانية تحديث جيشها وسلاحها، طلبت مساعدة الدول الأوربية ؛ (فرنسا، وألمانيا، وإنكلترا... إلخ)، فوافقوا على مساعدتها بشروط؛ منها: إلغاء التقويم الهجري في الدولة العثمانية، فرضخت لضغوطهم، في القرن الثاني عشر الهجري وتحديدا عام 1290هـ ، لكن بقي التاريخ الهجري بمصر رغم أنها كانت جزءا من الخلافة العثمانية آنذاك – حتى عهد الخديوي إسماعيل لما أراد أن يستقرض مبلغا من الذهب من إنجلترا وفرنسا؛ لتغطية مصاريف فتح قناة السويس، اشترطتا عليه ستة شروط؛ منها: إلغاء التقويم الهجري في مصر؛ فتم إلغاؤه سنة 1875م.

وهكذا نرى مدى حرصهم على سلب الأمة الإسلامية هويتها بإلغاء التاريخ الهجري، فما من شك في أن التاريخ الهجري هو هوية أمة، وتاريخ حضارة امتدت عبر ثلاثة عشر قرنا من الزمان لم نكن نؤرخ فيها إلا بهذا التاريخ، ومن هنا ارتبطت أمجادنا وأيامنا ومآثرنا بهذا التاريخ الذي تحولنا عنه إلى غيره نتيجة لأحوالنا وأوضاعنا، كأثر من آثار الغزو الفكري الذي امتد في فراغنا.

ولا يحسبن أحد أن المسألة هامشية أو فرعية بحيث يعد الحديث عنها نوعا من اللهو أو الترف الفكري في الوقت الذي تعاني فيه الأمة ما تعاني مما يمكن أن نهون به من هذا الأمر، فقد استمرت المؤامرة لطمس التاريخ الهجري وإزالته وتجهيل الشعوب الإسلامية به قرونا متوالية.

فاللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد؛ يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، اللهم أعد للمسلمين مجدهم وعزهم، واحفظهم من كل مكروه وسوء، وارفع راية القرآن على العالمين.
اللهم آمين.

الخطبة الثانية

الهجرة درس في

التوكل والأخذ بالأسباب

عناصر الخطبة:

أولا واقع مرير وعبادة الأمل.

ثانيا/ سنة الأخذ بالأسباب.

ثالثا/ التأييد والعون الإلهي

الخطبة الثانية

الهجرة درس

في التوكل والأخذ بالأسباب

عناصر الخطبة:

أولا واقع مرير وعبادة الأمل.

ثانيا/ سنة الأخذ بالأسباب.

ثالثا/ التأييد والعون الإلهي

أولا واقع مرير وعبادة الأمل

من يقرأ أحداث بداية الدعوة ومواجهتها وحصارها ويقرأ التطور التاريخي السريع الذي حدث بعد الهجرة في مدة عشر سنوات بالمدينة يعلم يقينا أنه في أشد اللحظات ضيقا وكربا بالأمة يأتي الفرج من الله.

وفي أيامنا تلك حينما نسمع الأخبار نرى أن الأوضاع تنتقل من سيء لأسوأ وأن العداوة للإسلام تزيد، ونلاحظ زيادة جرعات تشويه وتزييف الإسلام هذا الدين العظيم الذي يحمل من القيم والأخلاقيات العظيمة التي فيها سعادة البشرية جمعاء.

وعلى الرغم من هذا كله فإنا قد تعلمنا من الرسول صلى الله عليه وسلم سنة الأخذ بالأسباب، لم يعلمنا كثرة البكاء والتوجع والتحسر إنما علمنا أن نعمل ونتفاءل، وهذه هي الإيجابية، وهي من أهم دروس الهجرة النبوية.

ولما شكا أصحاب النبي شدة إيذاء المشركين لهم أقسم صلى الله عليه وسلم **(والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون.) رواه البخاري**

ولذلك أدعوكم في هذه الأوقات الصعبة التي تمر بها الأمة أن نتعبد لله بعبادة الأمل، وهو أمل يتبعه عمل إن شاء الله.

كلمة الله هي العليا:

والرسول صلى الله عليه وسلم كان يبشر بعز الإسلام وبانتشاره، وأن ما يفعله هؤلاء المشركون المعادون لله ولدينه إنما هو شيء سيزول كالغثاء ، ولذلك

قال العلماء في قوله تعالى: **(وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)** [التوبة/40]
لو قلنا إن **(كلمة الله هي العليا)** جملة معطوفة على الفعل **(جعل)** لكانت منصوبة لكنها جاءت هنا مرفوعة إشارة إلى أنها دائما عليا وليست مجعولة؛ فهي مرفوعة بذاتها؛ لا بجعل وتصيير، فجعل كلمة الذين كفروا السفلى؛ حينما أرادوا قتله صلى الله عليه وسلم وحصار الدعوة والقضاء على هذا الدين والمسلمين، لكن كلمة الله هي العليا دائما أبدا.

ثانيا/ سنة الأخذ بالأسباب

والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ بالأسباب فعرض الإسلام على القبائل الوافدة لبيت الله الحرام للحج، والصورة وقتها كانت لا تبشر بخير؛ كلما دعا قبيلة أعرضوا، أو ردوا ردا قاسيا، أو اشترطوا، أو تشككوا أو استهزأوا ؛ حتى شاء الله عز وجل أن يتكلم مع ستة من أهل يثرب (المدينة) كانوا يحلقون رؤوسهم بعد المناسك، وكانت اليهود بالمدينة تبشر بنبي آخر الزمان فلما سمع هؤلاء الستة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هذا ما أخبرتكم به معشر يهود، لا يسبقونكم إليه، وكانت بعدها بيعة العقبة الأولى ثم الثانية، وكان من أهم بنودها أن يمنعوا رسول الله مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم وأموالهم، وكانت بعد ذلك الهجرة النبوية.

لم يشك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لحظة أن هذا دين الله وأن الله ناصره، لكنه كان دائم العمل والدعوة.

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن المدينة هي أرض الهجرة، نعم رآها النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا أرضا ذات نخيل لكن لم يدر بخلده أنها المدينة؛ حتى جاء الأمر الإلهي بالهجرة إليها.

فعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي [أي ظني] إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب . . .) رواه البخاري ومسلم.

وقد أخبر الله نبينا بخطوط المؤامرة التي خطط لها كبراء مكة، حينما اقترحوا عدة آراء بسجنه أو نفيه أو قتله، ثم كان بعد ذلك الاتفاق على أن يأخذوا من أربعين قبيلة أربعين شابا ويقتلونه جميعا كضربة رجل واحد ويتفرق دمه بين القبائل، فأعد الرسول صلى الله عليه وسلم العدة بالتخطيط والترتيب كيف ينتقل من مكة إلى المدينة.

أين البراق ليلة الهجرة؟

ولو راجعنا معجزة الإسراء والمعراج لتذكرنا البراق الذي كان وسيلة الانتقال في هذه الليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

والسؤال الآن: ألم يكن من الممكن أن يركب النبي البراق مهاجرا للمدينة؟

فالبراق دابة سريعة جدا وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يضع حافره عند منتهى بصره يعني سرعة كسرعة الصاروخ وربما أكبر فالبراق كان سينقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في أسرع وقت، لكن مع هذا لم يأت البراق للنبي في الهجرة.

لماذا؟

والجواب: أن الله أراد أن تكون الحركة للدين من خلال سننه الكونية، كالأخذ بالأسباب والتدبير والإعداد المحكم مع التوكل عليه جل وعلا.

فسنن الله لا تحابي أحدا: سواء كان الأمر دينيا أو دنيويا، جعل الله في الكون سننا لا تحابي أحدا، وكلمة سنة لا يقصد بها هنا سنة النبي صلى الله عليه وسلم إنما معناها القوانين الثابتة في الكون التي لا تتغير.

كما يقول الدكتور مصطفى محمود: لو نزل إلى الماء مسلم وكافر لن ينجو إلا من يجيد السباحة، فلا بد من الأخذ بالأسباب.

قل هو من عند أنفسكم

وفي في غزوة أحد قصّر بعض الصحابة في سنة الأخذ بالأسباب، وكان فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستشهد سبعون منهم ؛ وذلك حينما عين رسول الله خمسين من الرماة على الجبل يحمون ظهور المؤمنين ، فلما انتهت المعركة ورأوا الغنائم [4] غرتهم الدنيا، ونزل منهم أربعون ولم يبق على الجبل إلا عشرة، فما كان من خالد بن الوليد، وكان لا يزال على الشرك، وكان وقتها قائد سلاح الفرسان بجيش المشركين؛ ما كان منه إلا أن قام بعملية تطويق من الخلف، وقتل العشرة الذين ثبتوا على الجبل من المؤمنين ، وأمطر المسلمين بالسهام حتى استشهد سبعون منهم .

---

[4] الغنائم هي ما يُؤخذ من أموال الكفار المحاربين في القتال؛ بعد المعركة، كالخيول والأسلحة وغيرها.

نعم كان فيهم رسول الله، لكن لما قصروا رباهم الله عز وجل وعلمهم **أن سنن الله لا تحابي أحدا**، وأنزل في ذلك قوله: **(أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير)** [آل عمران/165]

أنتم قصرتم فالله لا يحابي في سننه أحدا، هذه مسألة مهمة جدا؛ إذا بذلت ما في وسعك ثم لم تأت النتيجة؛ فاعلم أن لله حكمة، لكن إذا كنت لا تبذل شيئا ولا تقدم شيئا فلا تبك متسائلا لماذا؟

ثالثا/ التأييد والعون الإلهي

كل عمل لنصرة هذا الدين بجد وإخلاص نجد فيه التأييد والعون الإلهي.
بذل النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة ما في وسعه وبلغ المشركون الغار حتى قال أبو بكر لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا!!

وأدركه سراقة بن مالك، وعلى الرغم من ذلك كان العون الإلهي، هذا العون الإلهي يأتي لمن توكل على الله وأخذ بالأسباب.

فالمريض عليه أن يأخذ بالأسباب يذهب إلى الطبيب يأخذ الدواء ...بعد ذلك ماذا أفعل؟

هنا تنتظر من الله عز وجل الشفاء والعافية والفرج؛ هنالك حكمة أنا وأنت نجهلها لماذا؟ هذا أمر لا نعرف له إجابة، الاختبار لا تعرف تفاصيله إلا بعد مروره.

من مداخل الشيطان:

والشيطان يدخل لك من هذا المدخل يقول لك: أنت تدعو ولم تشف، ذهبت للطبيب ولم تشف، مر عليك سنة واثنين ولم تشف!!! وهذه الحالة النفسية حصلت للمسلمين في غزوة الأحزاب قال تعالى: **(إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا)** [الأحزاب 10 /11]

الظنون هي وسوسة الشيطان وما حدث من بلبلة فيقول لك أين نصر الله؟
أين الشفاء؟ أين الرزق؟ أين الفرج؟
أين ما تقرأ في القرآن أو كلام الرسول؟

ولذلك بعدها بعدة آيات لما جاء نصر الله قال المؤمنون: **(هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما)** [الأحزاب/22]

فأنت تبذل ما في وسعك؛ تشتد المحنة، ويشتد الكرب، ويشتد الضيق، لكن ثقتنا في الله لا تتغير ولا تتزحزح، وهذا هو المسلم الحق.

ونحن في زمن اشتدت فيه الفتن كثيرا، وضعف الإيمان فصار الناس عندهم دائما هذه الهواجس والظنون.

أتى أمر الله فلا تستعجلوه:

ولذا أقول لك بقوة إيماننا بالله، ويقيننا بالله عز وجل يقينا لا يعرف الشك، ولا الوساوس أن لله الحكمة في تأخير ما يشاء، وتقديمه لوقت قدره الله بحكمته.

ومما نزل في القرآن المكي سورة النحل والتي قال الله في افتتاحها: **(أتى أمر الله فلا تستعجلوه)** [النحل/1] أتى: فعل ماض، ثم قال (فلا تستعجلوه)؟

قال العلماء: من البلاغة في اللغة العربية التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي إشارة إلى تحقق وقوعه، أي كأنه صار كالواقع فعلا، كما قال: **(إذا السماء انشقت)** [الانشقاق/1]

وهذا لم يحدث بعد؛ فإن هذا من علامات الساعة لكن الله يخبر به وكأنه وقع فعلا، فلتيقن وقوعه جاء بصيغة الماضي **(أتى أمر الله فلا تستعجلوه)** [النحل/1] فأمر الله نافذ وواقع سواء رأيته، أو حدث بعد وفاتك إنما هو واقع.
وفي نهاية آيات السورة قال: **(واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)** [النحل128 /127]

الثقة واليقين في الله:

فالأخذ بالأسباب لا يعني أن النتائج دائما تكون على هواي أو مزاجي إنما تقع النتائج وفقا لحكمته سبحانه وتعالى قال تعالى: **(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)** [المؤمنون/71]
قد يمر بك الزمن وتفكر في بعض أحوالك وتقول سبحان الله – أنا كنت أعتقد في هذا الباب أن عدم تحققه يعني نهاية الدنيا، والله سبحانه وتعالى فتح لك أبوابا واسعة من الرزق لم تكن تدركها ولا تعلمها، وهذا ما قاله الله مطمئنا عباده المؤمنين: **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**

ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) [الطلاق2 /3]

نفر من قدر الله إلى قدر الله:

خذ بالأسباب متوكلا على الله، إنما تقصر في الأخذ بالأسباب ثم البكاء بعد ذلك أو التباكي؟!!أنت المقصر.

ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) رواه مسلم.

وقد أعجبتني كلمة للشاعر الباكستاني محمد إقبال قال فيها: المؤمن الضعيف يتعلل بالقضاء والقدر، والمؤمن القوي هو من يعتقد أنه قضاء الله وقدره في الأرض.

وللتوضيح أقول لما دخل عمر بن الخطاب الشام أخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، فاستشار الصحابة [5] وانتهى به الأمر ألا يدخل ولما راجعه بعض الصحابة قال: نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان، إحداهما: خصبة، والأخرى: جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله.

نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، هذا هو الفهم الصحيح.

وسأل أحد الشباب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: هل الإنسان مسير أم مخير؟!

فقال الشيخ: يا بني، الإنسان في الشرق مسير وفي الغرب مخير!!!

فقال الشاب ضاحكا: هذا جواب سياسي!

الشيخ: لا يا بني، هذا جواب ديني أيضا، فالغرب عرفوا أن لديهم عقولا فاستعملوها، أما نحن فما زلنا نتساءل إن كان لدينا عقول وحرية اختيار أم لا؟!!!

---

[5] ولم يكن قد بلغه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه) وهذا لتضييق دائرة المرض وهذا ما يعرف الآن بالحجر الصحي.

فالشاهد من هذا كله: أن الله لا يلوم على العجز، إن بذلت ما في وسعك وعجزت عن شيء فقد أخذت بالأسباب حسب وسعك وطاقتك وهذا فيه دلالة على أنك مؤمن، لكن الإنسان لا يفعل شيئا ويتواكل ثم يقول: لماذا؟ ولماذا؟ فهذه سلبية وكسل وضعف إيمان.

وليس معنى التوكل أن يتم الأمر دائما كما تريد أو كما خططت، التوكل قلب معلق بالله وجوارح تعمل أخذا بالأسباب، ثم قلب يرضى بما أراده الله، فتفوض الأمر لله.

حسبنا الله ونعم الوكيل:

لو أن عندي قضية مهمة جدا وكلت فيها أحد المحامين فلعلمي أن هذا المحامي ضليع، وله خبرة في القانون أثق فيه وفيما يفعل ، وأوقع على الأوراق وأنا مطمئن ثقة فيه ، ولله المثل الأعلى حينما تأخذ بالأسباب فوّض الله عز وجل وارض بما يدبره لك، وهذا معنى حسبنا الله ونعم الوكيل؛ حسبنا يعني كافينا ، ونعم الوكيل : لأنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء لا يعجزه شيء ، المحامي بشر ممكن أن يخطئ في تقديره فيخونه التوفيق أو يكون عنده قلة خبرة فيخسر القضية ... لكن لما توكل الله فهو نعم الوكيل فهو القادر الذي لا يعجز ، وهو الذي يفعل لعباده الأصلح وهو سبحانه وتعالى الذي يعلم الماضي والحاضر والمستقبل لا يغيب عنه شيء فلما تقصر بك الأسباب تقولها متيقنا : **حسبنا الله ونعم الوكيل .**

والبعض حينما يسمعك تقول: حسبنا الله ونعم الوكيل يقول لك على من تحسبن؟ لأنا فهمنا أنها لا تقال إلا عند حدوث ظلم، كلا، حسبنا الله ونعم الوكيل في كل أمورنا وأحوالنا نفوض الله فهو أحكم الحاكمين.

وهو حسبنا الله ونعم الوكيل في كل ما ننوي فعله وكل ما نقصد تدبيره، فكل شيء عنده له حكمة وله مقدار قال تعالى: **(وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)** [الحجر/21]

فالعافية بتدبير وحكمة من الله، والمرض بتدبير وحكمة من الله، والفقر والغنى والعسر واليسر كل هذه الأحوال بتدبير وحكمة من الله، ربما نعجز عن إدراك هذه الحكمة، وربما ندرك بعضها، لكن عندنا ثقة أن كل شيء بتدبير وحكمة من الله عز وجل، ولذلك قال سبحانه وتعالى **(ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون)** [هود/123]

الخلاصة:

1. واقع الأمة مؤلم والعداوة للإسلام في تصاعد، والتشويه الإعلامي متزايد.
2. رغم المحن، الفرج من عند الله، والتاريخ الإسلامي شاهد على ذلك (حصار الدعوة ثم تمكينها).
3. النبي ﷺ علمنا عبادة الأمل مقرونة بالعمل، لا باليأس والتحسر.
4. الإسلام دائمًا هو الأعلى، كما قال تعالى: **(وكلمة الله هي العليا)** [التوبة: 40]، فهي مرفوعة بذاتها لا بجعل بشري.
5. خطط النبي ﷺ للهجرة بدقة، مع يقينه أن الله ناصره.
6. لم يستخدم البراق للهجرة رغم توفره في الإسراء، لأن الهجرة درس في التوكل والعمل لا في طلب المعجزات.
7. سنن الله لا تحابي أحدًا؛ وغزوة أحد مثال عملي :لما خالف الرماة أمر النبي ﷺ
8. العون الإلهي يكون مع التوكل، والبذل، والتخطيط، والعمل.
9. التأخر في النصر أو الشفاء وراءه حكمة يظهرها الله وقتما شاء.
10. ليس شرطًا أن تكون النتائج كما نريد، بل كما يريد الله بحكمته.

****

الخطبة الثالثة

الهجرة النبوية دروس وعبر

عناصر الخطبة:

الدرس الأول: الهجرة والتخطيط الجيد.

الدرس الثاني: الهجرة والأخذ بالأسباب والتأييد الإلهي.

الدرس الثالث: الثقة في نصر الله.

الدرس الرابع: الجميع أسهم في الهجرة.

الدرس الخامس: الهجرة تضحية بكل شيء في سبيل الدين.

الدرس السادس: مداومة الدعوة والحرص على استمرارها.

كلمة أخيرة: الهجرة الباقية المستمرة.

الخطبة الثالثة

الهجرة النبوية دروس وعبر

تمهيد:

يأتي لقاء هذا اليوم ونحن نقف على عتبات عام هجري جديد ونودع عاما مضى، وتعاقب الليالي والأيام والأشهر والأعوام بالنسبة للمسلم يعني الوقوف وقفة المعتبر المتعظ الذي يحاسب نفسه وينظر فيما مضى وفيما هو مقبل عليه، نسأل الله تبارك وتعالى أن يكون عام خير ورشد وبركة.
والأمة الإسلامية لها أحداث وذكريات لها أعظم الأثر في حياتها، وحدث الهجرة غير مسيرة التاريخ، وتجلى فيه صدق الإيمان، فقد كانت الهجرة مؤشرا لانطلاق الدعوة، ولم تكن الهجرة فرارا من المحنة، أو مجرد انتقال مكاني، وإنما كانت فاتحة العمل الجاد المتواصل.
وفي الهجرة المباركة بعض الدروس التي نتعلمها من هذا الحدث العظيم لنتعلمها ونطبقها إن شاء الله.

عناصر الخطبة:

الدرس الأول: الهجرة والتخطيط الجيد.

الدرس الثاني: الهجرة والأخذ بالأسباب والتأييد الإلهي.

الدرس الثالث: الثقة في نصر الله.

الدرس الرابع: الجميع أسهم في الهجرة.

الدرس الخامس: الهجرة تضحية بكل شيء في سبيل الدين.

الدرس السادس: مداومة الدعوة والحرص على استمرارها.

كلمة أخيرة: الهجرة الباقية المستمرة.

الدرس الأول: الهجرة والتخطيط الجيد

إن التخطيط أساس نجاح أي عمل من الأعمال؛ وهو الطريق الذي يرسم بصورة مسبقة ليسلكه فرد أو جماعة عند اتخاذ قرارات أو تنفيذ عمل.

وهو سلوك إسلامي قويم، ومنهج رشيد حثَّ الإسلام على ممارسته في جميع شؤون الحياة؛ وفي حدث الهجرة خطط النبي صلى الله عليه وسلم خطة متينة محكمة:

1- علىٌّ – رضي الله عنه- على فراشه صلى الله عليه وسلم متغطيا ببرده، وبات المجرمون ينظرون من شق الباب، يتهافتون أيهم يضرب صاحب الفراش بسيفه.

2- عبد الله بن أبي بكر كان يصبح مع قريش فيسمع أخبارها ومكائدها فإذا اختلط الظلام تسلل إلى الغار وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الخبر فإذا جاء السحر رجع مصبحاً بمكة.

3- كانت أسماء تعد لهما الطعام ثم تنطلق بالسفرة إلى الغار ...ولما نسيت أن تربط السفرة شقت نطاقها فربطت به السفرة وانتطقت بالآخر فسميت بـ(ذات النطاقين)

4- ولأبي بكر راعٍ اسمه عامر بن فهيرة، كان يرعى الغنم حتى يأتيهما في الغار فيشربان من اللبن، فإذا كان آخر الليل مر بالغنم على طريق عبد الله بن أبي بكر عندما يعود إلى مكة ليخفي أثر أقدامه.

5- واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً كافراً اسمه عبد الله بن أريقط وكان ماهراً بالطريق ليكون دليلهم وواعده في غار ثور بعد ثلاث ليال.

فتوزيع الأدوار جاء مرتباً مخططاً منظماً وفق خطة علمية مدروسة: فالقائد: محمد، والمساعد: أبو بكر، والفدائي: علي، والتموين: أسماء، والاستخبارات: عبد الله، والتغطية، وتعمية العدو: عامر، ودليل الرحلة: عبد الله بن أريقط، والمكان المؤقت: غار ثور، وموعد الانطلاق: بعد ثلاثة أيام، وخط السير: الطريق الساحلي، وهذا كله شاهد على عبقريته وحكمته صلى الله عليه وسلم، وفيه دعوة للأمة إلى أن تحذو حذوه في حسن التخطيط والتدبير وإتقان العمل واتخاذ أفضل الأسباب مع الاعتماد على الله مسبب الأسباب أولاً وآخراً.

الدرس الثاني: الهجرة والأخذ بالأسباب والتأييد الإلهي

إن الله قادرٌ على حمل نبيه على البراق أو يسخر له الريح – كما سخرها لسليمان – فتحمله في طرفة عين من مكة إلى المدينة، ولكن الله يريد أن يعطينا درساً لا ننساه وهو التخطيط والأخذ بالأسباب.

إن الهجرة يتجلى فيها التعامل مع الأسباب مع التوكل على الله.
فالأسباب ما هي إلا أدوات للقدرة العليا، ومفاتيح لخزائن رحمة الله عز وجل.
ومن تأمل الهجرة، ورأى دقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها، يدرك أن الأخذ بالأسباب عبادة تحقق معنى التوكل على الله.

ومع هذا لابد وأن نعلم أن هذه الدقة في التخطيط، ما كان بها وحدها يكون النجاح، لولا التوفيق الإلهي، والإمداد الرباني، فالهجرة جرى فيها القدر الإلهي من خلال الأخذ بالأسباب البشرية.

صور من التأييد الإلهي في حادث الهجرة النبوية

ذكرت كتب السيرة صوراً من معجزات الهجرة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة ؛ و يلاحظ أنها جاءت بعد أن أخذ الرسول صلى الله عليه و سلم بكافة الأسباب المتاحة ، و هذا شأن المؤمن يتوكل على الله آخذا بالأسباب، لأن كل شيء لا قيام له إلا بالله ، فالنبي صلى الله عليه و سلم خطط و دبر للهجرة و أخذ بكل أسبابها الممكنة للبشر ، في المكان و الزمان ، و الدليل ، و الراحلة ، و الصاحب ، و الاتجاه ، و الزاد ، و الغار ، و الخروج بليل ، و تسجية على رضى الله عنه على فراشه صلى الله عليه وسلم – كل ذلك مع توكله المطلق على ربه و مولاه الذى كان يجرى له الخوارق بعد استفراغ غاية الجهد ؛ و لذلك قال لصاحبه : { **لا تحزن إن الله معنا** } و لم يقل : لا تحزن إن خطتنا محكمة ، و هي بالفعل محكمة ، لكن الأمر كله لله من قبل و من بعد.

ومن هذه المعجزات:

المعجزة الأولى: خروج النبي من بينهم سالما بعد اجتماع قريش على قتله؛ فقد اجتمعت قريش في دار الندوة لينظروا في أمر محمد وذلك بقيادة أبي جهل؛ وأجمعوا في نهاية المؤتمر على قتل النبي صلى الله عليه وسلم.
فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول الله سبحانه: **{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ...}** [الأنفال: 30]

فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بمؤامرة قريش، وأن الله أذن له في الخروج، وحدد له وقت الهجرة، قائلاً: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.
وذهب النبي صلى الله عليه وسلم في الهاجرة إلى أبي بكر وأخبره بأن الله أذن له في الخروج، فقال أبوبكر: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، فبكى أبوبكر من شدة الفرح، تقول عائشة: ما كنت أعلم أن أحداً يبكي من شدة الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ.

فلما كانت عتمة من الليل؛ أي الثلث الأول اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم؛ وعلم ما يكون منهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتغطى ببردي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام.[6]

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واخترق صفوفهم، وقد ضرب الله على أبصارهم الغشاوة فلا يرونه.[7]

المعجزة الثانية: حفظه وصاحبه في الغار

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر فخرجا من خوخة [8] في دار أبي بكر ليلاً حتى لحقا بغار ثور في اتجاه اليمن.

ولما انتهيا إلى الغار قال أبوبكر: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك فإن كان فيه شيء أصابني دونك!!

وكان في الطريق مرة يمشي أمام النبي صلى الله عليه وسلم ومرة خلفه؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك.

وتبعتهما قريش، واهتدت إلى المكان بتتبع آثار الأقدام، فصعدوا الجبل حتى وقفوا أمام الغار!!!
فقال أبو بكر: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا !!
قال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما "

---

(6) البرد: ثوب مخطط أو عباءة كانت تلبس قديمًا، وغالبًا تكون من صوف أو قطن.

(7) من المشهور بكتب السير أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج مهاجراً إلى المدينة، مر على الكفار الذين اجتمعوا أمام بيته وقد جمعوا له أربعين رجلاً، يريدون قتله بضربة رجل واحد، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ تراباً من الأرض وألقاه على رءوس الجميع وهو يقرأ هذه الآية، وكأن الأربعين جميعا تجمدوا بأماكنهم وانتظروا جميعا لتلقى التراب على رؤوسهم ولم يتحرك منهم أحد. والقصة سندها ضعيف جدا، والأولى عدم ذكرها إلا للتنبيه عليها.

(8) الخوخة: باب صغير أو فتحة صغيرة تكون في الجدار أو الباب الكبير.

فانظر كيف أعمى الله أبصارهم عن رؤيتهما؟! بل لم يدر في خلدهم وجود أحد في الغار!!

المعجزة الثالثة: حادثة سراقة بن مالك بن جعشم

لما أيست قريش منهما أرسلوا لأهل السواحل أن من أسر أو قتل أحدهما كان له مئة ناقة، وكان من دأب أبي بكر أنه كان خلف النبي صلى الله عليه وسلم وكان معروفاً فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل هاد يهديني الطريق؛ فيفهم من كلام أبي بكر أنه يعني به الطريق وإنما يعني سبيل الخير.

وتبعهم في الطريق سراقة بن مالك بن جعشم وكان قد علم من رسل كفار قريش أنهم يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما مئة ناقة لمن قتله أو أسره.
قال سراقة: بينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمدا أو أصحابه....

قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: ليسوا هم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا؛ ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت، حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها .... فقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغنا الركبتين فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استويت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره.

فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيته من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أنه قال: اخف عنا (أي لا تذكر لأحد عنا شيئا)

قال سراقة: فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما همّ سراقة بالانصراف قال له النبي صلى الله عليه وسلم: كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى؟! قال سراقة: كسرى بن هرمز؟!! قال عليه السلام: كسرى بن هرمز.

ودارت الأيام دورتها فإذا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي خرج من مكة مستتراً بجنح الظلام مهدوراً دمه يعود إليها سيداً فاتحاً تَحُفُّه الألوف المؤلفة من جند المسلمين ...

ويأتي سراقة النبي صلى الله عليه وسلم، ويعلن إسلامه بين يديه، ويتراءى له ذلك اليوم الذي هم فيه بقتل محمد صلى الله عليه وسلم من أجل مئة من النوق، وبعد أن أسلم أصبحت نوق الدنيا لا تساوي عنده قلامةً من ظفر النبي صلى الله عليه وسلم.

ودارت الأيام دورتَها كرةً ثانية وآل أمر المسلمين إلى الفاروق عمر رضوان الله تعالى عليه، وفي ذات يوم من آخر أيام خلافته قَدِم على المدينة رُسُلُ سعد بن أبي وقاص، يبشرون عمر بالفتح، ويحملون إلى بيت مال المسلمين الغنائم، وكان من بين هذه الغنائم تاج كسرى المرصع بالدر، وثيابه المنسوجة بخيوط الذهب، ووشاحه المنظوم بالجوهر، وسواراه، وما لا حصر له من النفائس، نظر عمر إلى هذا كله في دهشة، وجعل يقلبها بقضيب كان بيده زهداً بها، ثم قال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء، وكان في حضرته علي رضي الله عنه، قال يا أمير المؤمنين: أعجبت من أمانتهم؟ لقد عففت فعفوا، ولو رتعت لرتعوا.

وهنا دعا الفاروقُ عمر سراقة بن مالك فألبسه قميص كسرى، ووضع على رأسه تاجَه، وألبسه سواريه، ثم قال عمر لسراقة: بخٍ بخٍ أعيرابي (تصغير أعرابي) من بني مدلج على رأسه تاج كسرى، وفي يديه سواره.

فحمل عَهْدُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لسراقة عدّة نبوءات:

- فتح بلاد فارس.
- بقاء سراقة على قيد الحياة إلى أن تُفتح فارس ويلبس سواري كسرى،

وهو ما تمّ بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم.

المعجزة الرابعة: شاة أم معبد

اجتاز النبي صلّى الله عليه وسلّم وصاحبه في طريقهما بأم معبد فسألاها هل عندك شيء؟ فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القرى (الضيافة) والشاة عازب؛ لأنهم كانوا مسنتين (مجدبين)؛ فنظر رسول الله إلى شاة في كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟
قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم.
قال: هل بها من لبن؟
قالت: هي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أحلبها قالت: بأبي وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا فدرّت؛ فدعا بإناء فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا؛ ثم شرب وكان آخرها شرباً وقال: ساقي القوم آخرهم شرباً ثم حلب فيه ثانياً حتى ملأ الإناء وتركه عندها ثم ارتحلوا.

ولما جاء زوجها أبو معبد عند المساء يسوق أعنزاً عجافاً ورأى اللبن الذي حلبه عجب فقال: من أين لك هذا؟ والشاة عازب ولا حلوب بالبيت؟
قالت مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ومن حاله كذا وكذا، قال: صفيه، فوصفته فقال لها: هذه والله صفة صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته.

الدرس الثالث: الثقة في نصر الله

وأصحاب الدعوات لا ينظرون إلى الأمور على ضوء الحاضر المؤلم، والآفاق المظلمة، الحاضر الذي يحكم فيه الحصار حول الدعوة والتضييق على الدعاة؛ لأن ثقتهم في وعد الله رغم العقبات تجعل هذه العقبات هباءً منثوراَ، وهذا اليقين هو الذي نطق به صلى الله عليه وسلم وهو يسوق هذه البشرى لسراقة بن مالك (كيف بك إذا لبست سواري كسرى).

الدرس الرابع: الجميع أسهم في الهجرة

لقد قدم **على بن طالب** دورا عظيم في الهجرة حيث نام رضي الله عنه في مكان الرسول الكريم، وهو يعلم أن أربعين سيفا تنتظره ستهوى عليه بعد قليل، ولكنه لإيمانه بعظيم عمله ثبت وتشجع وأدى دوره على أحسن وجه.

فالعمل على تنمية طاقات الشباب ودفعهم الى الأمام واستغلال ما بداخلهم من طاقة عظيمة تمكنهم من تغيير الوضع الحالي.

وكذلك الرفع من شأن المرأة وحثها على التقدم، وعدم الإقلال من شأنها في المجتمع فهي التي بإمكانها أن تخرج لنا دعائم لبناء أمة إسلامية قوية، تعمل على رفع راية الإسلام عالية مرفوعة، ولا أحد فينا يستنكر الدور الذي أدته **أسماء بنت أبى بكر** عندما صمدت أمام قادة قريش وأبت أن تفشي سر رسول الله، علاوة على ما قامت به أثناء الرحلة العظيمة من حرصها على أن تقدم المؤن للرسول الكريم وتذهب له بالطعام والشراب على الرغم من كونها حاملا.

ولا يخفى علينا ما كنا بين المهاجرين والأنصار من تلاحم وإيثار جمعهم الإسلام ليوحد كلمتهم وهدفهم في الحياة ألا وهو بناء دولة إسلامية عالية الشأن.

لقد أسهم الجميع في صنع أحداث الهجرة وما بعدها، أفراداً وأسر، رجالاً ونساءً، فبنوا جميعا الدولة الإسلامية وثبتوا أركانها.

الدرس الخامس: الهجرة تضحية بكل شيء في سبيل الدين

إن أعز ما يملكه الإنسان في هذه الحياة هو دينه، والذي لابد له من تكاليف، والتكاليف لابد لها من تضحيات، وأبرز دروس الهجرة المباركة هي التضحية، والتضحية قاسم مشترك لكل من هاجر.

لقد اشتملت الهجرة المباركة على نماذج رائعة، تحتاج إليها الأمة في جهادها وصناعة تاريخها:
فهذا أبو بكر، وهذا على بن أبى طالب، وهذا صهيب الرومي، وهذا ضمرة بن جندب، وهذه أم سلمة، وهؤلاء أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم، نماذج ضحت بكل شيء، المال والنفس والوطن، والولد، والزوجة، والزوج.

الدرس السادس: مداومة الدعوة والحرص على استمرارها

إننا نجد من معاني الهجرة الانتقال إلى موقع أفضل للدعوة، والتماس المناخ الأرحب لنشرها بين الناس، إن واجب الدعوة إلى الله ليس له وقت محدد كالصلاة والصيام، فهي واجب كل وقت، وهي شاغل المؤمن وهمه في كل حين.

وهذا الدرس نتعلمه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى المدنية، حيث لقى بريدة بن الحصيب الأسلمي فدعاه فاسلم بريدة هو ومن معه.

كلمة أخيرة: الهجرة الباقية المستمرة

الهجرة منهج للتغيير والإصلاح

إننا في حاجه ماسة اليوم إلى تحقيق هذه الهجرة في حياتنا، هجرة إلى الله ورسوله بفعل الطاعات وترك المنكرات، هجرة من الشر والرذيلة إلى الخير والفضيلة، هجرة من الفرقة إلى الوحدة، هجرة من السلبية إلى الإيجابية لتغيير الواقع المؤلم الذي تعيشه الأمة.

قال الإمام العز بن عبد السلام: الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان، وأفضلها هجرة الإثم والعدوان؛ لما فيها من إرضاء للرحمن وإرغام النفس والشيطان.

وقال الإمام ابن القيم :الهجرة فرض عين على كل أحد في كل وقت، وأنه لا انفكاك لأحد من وجوبها، وهي مطلوب الله ومراده من عباده، إذ الهجرة هجرتان:

الأولى هجرة بالجسم من بلد إلى بلد.

والهجرة الثانية :الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهذه الهجرة الحقيقية، وهي الأصل وهجرة الجسد تابعة لها؛ فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته، ومن عبودية غيره إلى عبوديته، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له.

وأول مراحل الهجرة ترك المعاصي، والبُعْد عن مواطن الشبهات، ولن ينصر الدين رجل غرق في شهواته، والمعروف أن ترك المعاصي مقدم على فعل فضائل الأعمال، والإنسان قد يُعذر في ترك قيام أو صيام نفل أو صدقة تطوع، لكنه لا يُعذر في فعل معصية.

وذلك كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ"؛ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

ولذلك عرَّف الرسول صلى الله عليه وسلم المهاجر الحقيقي بتعريف عميق من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، فقال فيما رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: **"إِنَّ الْمُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ".**

خلاصة الخطبة:

1. الهجرة بدأت بتخطيط دقيق ومحكم من النبي صلى الله عليه وسلم.
2. الأخذ بالأسباب واجب شرعي لا ينافي التوكل على الله.
3. التأييد الإلهي لا يأتي إلا مع استفراغ الجهد البشري.
4. المعجزات في الهجرة جاءت تأييدا من الله لنبيه وأولياءه من المؤمنين.
5. الثقة بوعد الله سبب للثبات وسط الأزمات.
6. من يقين النبي بنصر الله أنه بشر سراقة بسواري كسرى وهو في أصعب لحظات المطاردة.
7. الجميع شارك في إنجاح الهجرة رجالًا ونساءً وشبابًا.
8. أسماء بنت أبي بكر قدمت نموذجًا رائعًا لشجاعة المرأة المؤمنة.
9. علي رضي الله عنه ضحى بنفسه لأداء مهمة خطيرة في سبيل الدين.
10. الأنصار قدموا المال والمأوى والإخاء دون تردد.
11. الهجرة كانت تضحية كاملة بالنفس، والمال، والراحة، والأهل.
12. الصحابة اختاروا الدين على كل متاع الدنيا.
13. الهجرة منهج دائم للانتقال من المعصية إلى الطاعة.
14. المهاجر الحقيقي من يهجر ما نهى الله عنه.
15. الهجرة اليوم تعني إصلاح النفس وترك الذنوب والثبات على الطاعة.
16. الأمة لا تصلح إلا بهجرة جماعية نحو الإيمان والعمل الصالح.

****

الخطبة الرابعة

الله ابتعثنا

المهام الثلاث لهذه الأمة

عناصر الخطبة:

أولا/ بدأ الإسلام غريبا.

ثانيا/ ما سبب العداء للإسلام؟

ثالثا/ هجرة الرسول كانت الانطلاقة الكبرى.

رابعا/ عالمية الإسلام.

خامسا/ بدأ الإسلام غريبا ثم انطلق.

الخطبة الرابعة

الله ابتعثنا

المهام الثلاث لهذه الأمة

تمهيد:

نستقبل هذه الأيام عاما هجريا جديدا يخبرنا عن عدد السنوات التي مرت على هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة؛ هذا الحدث الكبير الذي غير مجرى التاريخ.

حيث هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فكانت هجرته خروجا من الضيق إلى السعة، ومن الاستضعاف إلى التمكين، والانطلاق في آفاق الأرض كلها.

وجعل الله سبحانه وتعالى بعد هذه الهجرة انطلاقة مباركة وانتشارا واسعا لدين الله جل وعلا.

عناصر الخطبة:

أولا/ بدأ الإسلام غريبا

ثانيا/ ما سبب العداء للإسلام؟

ثالثا/ هجرة الرسول كانت الانطلاقة الكبرى

رابعا/ عالمية الإسلام

خامسا/ بدأ الإسلام غريبا ثم انطلق.

أولا/ بدأ الإسلام غريبا

أول ما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم أحصى عدد الناطقين بالإسلام من المهاجرين والأنصار فكان عددهم ألف وخمسمئة نسمة، هذا العدد تضاعف في آخر حياته إلى أن وصل في حجة الوداع مئة وأربعة وعشرين ألفا، وهذا الرقم كبير جدا بالنسبة لعدد السكان في هذا الوقت.

وهذا ما يدعونا لنتوقف مع الحديث الذي ورد عن أبي هريرة قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء) رواه مسلم**

يتحدث كثير من الدعاة عن آخر الزمان، وعن أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حديثا يوحي مجمله أن الكفر في إقبال، وأن الإسلام في إدبار، وأن الشر ينتصر، وأن الخير ينهزم، وأن أهل المنكر غالبون، وأهل المعروف ودعاته مخذولون، وكل واحد يفسر الأحداث التي نعيشها على هذا المنوال وأن القيامة ستكون قريبا.

وهذا لا شك خطأ جسيم، فلو قرأنا التاريخ لرأينا هذه المرحلة التي نعيشها الآن مر أضعافها بالبشرية أو بالمسلمين خصوصا.

ولذلك نحاول أن نفهم هذا الحديث من خلال أحداث الهجرة وما كان قبلها وما بعدها.

كيف بدأ الإسلام غريبا؟

1- الدعوة إلى التوحيد:

نعم بدأ الإسلام غريبا يدعو نبيه العباد لتوحيد الله جل وعلا، حيث بعث وسط قوم ألّهوا أكثر من ثلاثمئة صنم ونصبوها حول الكعبة يعبدونها ويقدسونها من دون الله، ويستشفعون بها عند الله ويستمطرون بها المطر ويسترزقون ويستشفون بها ويذبحون لها القرابين، وحينما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى التوحيد قالوا: **(أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب)** [ص :5]

2- الناس سواسية عند الله:

جاء الإسلام غريبا حينما جاء ليجعل الناس سواسية عند الله، لا يعلو أحد على أحد، وهذا أمر غريب في مجتمع طبقي فيه السادة والعبيد... السادة لهم كل الخيرات وكل الإمكانات والغنى والسيادة، والعبيد لهم كل الذل والإهانة، والعبودية، والجوع، والأذى.

3- الزكاة:

جاء الإسلام غريبا لأنه فرض في مال الغني حقا واجبا للفقير.

4- إن أكرمكم عند الله أتقاكم

جاء الإسلام غريبا لأنه جعل الناس بين يدي الله سواء فلا يعلو أحد على أخيه إلا بالتقوى قال تعالى **(إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** [الحجرات/13]

جاء الإسلام غريبا في كثير من تشريعاته وقيمه وأخلاقه التي تبين عظمته كدين يوافق الفطرة ولا يخالفها.

ثانيا/ ما سبب العداء للإسلام؟

وسبب العداء للإسلام قديما وحديثا هو أن هناك صنفان من الناس:

الصنف الأول: الجاهل بالإسلام.

فمن جهل شيئا عاداه، الجهل بالدين، من لا يعرف الإسلام حق المعرفة يعاديه.

الصنف الثاني: هم المنتفعون من الباطل؛ هذا الصنف الذي يعلم يقينا أن الإسلام سيكون سببا لتوقف مصالحه التي ينتفع من ورائها، بدوام الباطل الذي هو عليه.

الجهل بالإسلام كان علاجه أن يعرف الناس ما هو الإسلام، أن يبلغ النبي دعوة ربه للناس وأن يقيم عليهم الحجة بالبلاغ والبيان، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل في دين الله من دخل، وعاداه من عاداه.

ولذلك فإن ورقة بن نوفل لما ذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خديجة (وهو ابن عمها) لما ذهب إليه بعد رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل في غار حراء ليلة أوحي إليه، قال له ورقة: ليتني كنت حيا، ليتني كنت جذعا إذ يخرجك قومك (جذعا: يعني شابا حديث السن)

قال: أو مخرجي هم؟
النبي صلى الله عليه وسلم أربعين سنة يعيش مع قومه محبوبا، حتى لقبوه بالصادق الأمين وفجأة يعادونه؟

فقال النبي مستنكرا أو مخرجي هم؟
قال ورقة: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي.

فكانت مهمة رسول الله الأولى: البيان والبلاغ قال تعالى: **(ما على الرسول إلا البلاغ)** [المائدة/99]

والبلاغ معناه أن تبلغ الدعوة إلى جميع الآفاق، وأن يعلم بالإسلام كل الناس، والبلاغ المبين يعني الذي لا لبس فيه ولا غموض ولا ميوعة.

فيبلغ الإسلام كما أمر الله ليقيم الحجة على الناس لا يجامل أحدا أو يميع الأمور لإرضاء الأمزجة والأهواء.

لماذا لم تعادِ قريش الحنفاء؟

ورغم أنه قد كان قبل بعثة النبي من تسموا بالحنفاء، الذين لم يسلموا بعبادة الأصنام لأنها عبادة يأباها العقل السليم، وتأباها الفطرة، كيف للإنسان أن يصنع صنما أو يتخذ حجرا فيقدسه ويعبده؟!

بالرغم من ظهور هؤلاء قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنهم لم يعاديهم أحد لأنهم كانوا منغلقين على أنفسهم.
ولذلك الدين الذي يعيش صاحبه في الظل في منطقة الهدوء والبعد عن المشاكل يكون محبوبا.

ونلاحظ أن بعض الاتجاهات التي تجعل الدين في هذا النطاق محبوبون من الجميع فيتكلمون عما تحت الأرض (الموت والقبر.. الخ) وما فوق السماء (عظمة الله والملائكة والجنة والنار ...) لكن ليس عندنا تكليفات ولا تشريع ولا حلال وحرام، ولا أخلاق....

هذا هو الدين المحبوب عندهم، أن يكون صاحبه في الظل مستأنسا لا علاقة له بالحياة، فالحنفاء لم يتعرض لهم أحد ولم يعاديهم أحد لأنهم بقوا هكذا بينهم وبين أنفسهم ولم يدعوا أحدا إلى ما هم عليه.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء بالبلاغ المبين ليبين للناس ضلال ما هم عليه وخطأ ما يعتقدون، فكان أول أعداء هذا الدين الجاهلين بالإسلام؛ فكانت مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصحيح هذه الجهالة والرد على الشبهات والأسئلة.

وسنجد هذا واضحا في القرآن المكي **(وقال الذين كفروا ...)** [النمل/67] **(سيقول الذين أشركوا ...)** [الأنعام/148] ويأتي الرد عليهم مباشرة قل كذا وكذا ....

هذه الحوارات سجلها القرآن لبيان الحق وإزالة الغشاوة أو الشبهات التي قصد منها تشويه الإسلام.

الإسلام جاء يحارب عبودية البشر للبشر:

أمر آخر وهو أن الإسلام جاء يحارب عبودية البشر للبشر وهذا لا يناسب السادة الذين ينتفعون من هذا الوضع الظالم.

فقد كان الملأ يأمرون الناس بعبادة الأصنام وتقديس الآلهة والسجود لها والذبح لها، قالت الآلهة، حرمت الآلهة، والسؤال هنا: هل هذه الآلهة تتكلم؟ كلا، هل هذه الآلهة تشرع؟ كلا.

هل هذه الآلهة ترسل رسولا يبين للناس مراد الآلهة منها؟ كلا!!

إذن وكأنهم هم الناطق الرسمي باسم الآلهة الخرساء التي لا تتكلم، الآلهة هي الستار الذي من ورائه يبررون الظلم والحرص على الشهوات والسيادة وتقديسهم من قبل العبيد الذين يستعبدونهم ويستذلونهم.

ربعي بن عامر:

ولذلك كان هذا المعنى واضحا في ذهن ربعي بن عامر حينما قال لرستم قائد جيش الفرس حينما سأله ما الذي أتى بكم؟ فقال:

(إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة)

وهذه هي المهام الثلاث لأمة الإسلام :

1- تحرير البشر من العبودية للبشر إلى العبودية لله وحده.

2- إخراج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام: ظلم الناس باسم الدين وأخذ أموالهم وسفك الدماء واستحلال الحرمات والأعراض باسم الدين.

3- ومن ضيق الدنيا: لأن الناس دائما مرتبطة بالراحة والرغد في الدنيا ولا يعتقدون في الآخرة فينتقلون بالإسلام إلى(سعة الدنيا والآخرة) نعم هي سعادة الدارين، وهكذا لخص ربعي رسالة الإسلام بإيجاز شديد.

فعودي النبي صلى الله عليه وسلم وعودي أصحابه من قبل سدنة النظام وحراس الآلهة أو المستفيدين من عبادة الأصنام التي نصبوها آلهة للناس.

وسار الأمر على وتيرتين:

الأولى: تصحيح الاعتقاد في الإسلام وتوضيح الإسلام بصورته الناصعة التي ليس فيها أي جدال.

والأخرى: هي إظهار هؤلاء السدنة على حقيقتهم وكيف أنهم يضللون أتباعهم بما يقولون ويفعلون، ويوم القيامة سيعلنون التبرؤ من أتباعهم العميان الذين اتبعوهم بدون وعي أو بصيرة أو فهم.

قال تعالى: (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) [البقرة :166/167]

كانت مهمة هؤلاء السادة إلغاء العقول نهائيا فجاء الإسلام ليحرر العقل، وليحرك الفهم والتفكير ووعي الأمور وإدراكها بشكل صحيح **(أفلا يعقلون)** [يس/68] و **(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)** [آل عمران/190]

جاء الإسلام ليقول لهم: اخرجوا من هذا النطاق الضيق الذي يحكمكم في شربة ماء وطعمة غذاء إلى هذا الأفق الكبير وهذا الكون العظيم الذي يملكه إله قادر سبحانه وتعالى فهو الأولى بالعبادة.

ثالثا/ هجرة الرسول كانت الانطلاقة الكبرى

ولذلك عودي الإسلام وضيق عليه لكن مع ثبات النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين بدأ الإسلام يقوى حينا بعد حين ، لكنه كان يحتاج لأرض تحتضن الدعوة وينطلق منها فكانت الهجرة من مكة إلى المدينة ، لو بقى النبي في هذا النطاق الضيق في مكة لما انتشر الإسلام ولا وصل إلى مكاننا هذا بل وماكنا لنجلس جلستنا هذه ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون من الضيق إلى السعة، فانطلق إلى المدينة مع صحبه الكرام وجعل الله العون الإلهي حليفهم فكونوا دولة قوية وشيدوا بنيانا عظيما ، وجعل الله سبحانه وتعالى الإسلام ينساب في الأرض تماما كأشعة الشمس التي لا يحول دونها حائل ،لأن الإسلام دين الفطرة دين لا يعد الناس

بالسمن والعسل كما يقولون، أو الشفاء من الأمراض ويتركهم ؛ وإنما دين جاء ليكون منهجا شاملا للحياة كلها ، يدل الناس على ما فيه السعادة في الدنيا والآخرة ؛ يسعد الناس في دنياهم بطاعتهم لله واتباعهم لمنهجه ويسعدون في الآخرة بجنته ، فهو دين واقعي متوازن لا يخالف الفطرة ولا يحاربها ، وهو أيضا يربط العبد بعلاقة مباشرة بخالقه؛ بلا وسائط ، ولا يرجو إرضاء لعبد مثله .

رابعا/ عالمية الإسلام

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وكان الإسلام واضحا من أول البعثة أنه ما جاء لمكة، ولا للمدينة، أو العرب فقط إنما جاء للعالمين وفي آيات القرآن خير شاهد على ذلك:

1 **(الحمد لله رب العالمين)** [الفاتحة/2]

2 **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)** [الفرقان/1]

3 **(إن هو إلا ذكر للعالمين)** [ص/87]

4 **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** [الأنبياء/107]

وهكذا الرسالة جاءت عالمية للعالم أجمع.
وأكمل الصحابة المسيرة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتحوا آفاق الأرض حتى امتدت دولة الإسلام من الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ووقف عقبة بن نافع على المحيط الأطلسي (وكان يسمى وقتها بحر الظلمات) وقد تبللت أقدام فرسه بماء البحر، وقف قائلا: **(والله لو أعلم أن خلف هذا البحر أرضا لخضته بفرسي هذا في سبيل الله)**

سبحان الله العظيم!!! جاء اليوم الذي عرفت فيه الأميركتان وانطلق المسلمون بأعداد كبيرة ومعهم الهدى والنور الذي جعله الله معهم، وفتحنا المساجد وعمرنا الأرض بذكر الله سبحانه وتعالى وبإقامة الصلاة والشعائر لله عز وجل.

أوربا في عصور الظلام:

في أوج الحضارة الإسلامية كان ملوك أوربا وأغنياؤها يرسلون أبناءهم ليتعلموا الحضارة الإسلامية، والعلوم المختلفة، وكانت أوربا في هذا الوقت

في حقبة الجهل والأمية وكانوا يسمونها بعصور الظلام، وما كانت تعرف شيئا عن هذا.

كان أحد حكامهم يتمنى أن لو أضيئت شوارع فرنسا كما تضاء شوارع قرطبة!!

وكان بعضهم يفتخر بمعرفته بعض الكلمات العربية لأنها لغة الحضارة والعلم في هذا الوقت، كما يفتخر أحدنا الآن بإجادته للغة أو أكثر غير العربية.

وكان هارون الرشيد يخاطب السحابة قائلا: **(أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك)**

والخراج: مقدار معين من المال أو الحاصلات يفرض على الأراضي التي فتحها المسلمون وتركوها لأهلها الأصليين غير المسلمين لزراعتها.

خامسا/ بدأ الإسلام غريبا ثم انطلق

فالإسلام كان غريبا في بدايته ثم انطلق وانتشر وملأ آفاق الأرض وجعله الله كأشعة الشمس التي تدخل بلا استئذان لا تعرف حدودا ولا يوقفها أحد.

انتشر الإسلام لأنه دين الفطرة الذي يربط الإنسان بخالقه، ولا يخفى علينا أن من أكبر أسباب انتشار الإسلام أنه دين ليس له حدود جغرافية، وليس له عرق أو لسان خاص عربي أو غيره فلا يدخله إلا العرب مثلا؛ إنما هو دين يتخطى حواجز الزمان والمكان والعرق والجنس واللون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم **(كلكم لآدم وآدم من تراب)**

انتشر الإسلام .... ثم عاد غريبا مرة أخرى كحال أي شيء خلقه الله ، كل شيء خلقه الله فيه ضعف وقوة ، ضعفت الأمة وانهزمت وانكسرت، وفي القرن الماضي احتلت الدول الكبرى أغلب دول العالم الإسلامي فيما يعرف بالحقبة الاستعمارية ، واستنزفت الطاقات والثروات ، وصار الدين غريبا بين الناس حتى كان عدد المصلين في المسجد الواحد يعد على أصابع اليد الواحدة ، بل ذكر أجدادنا أن المساجد كانت أشبه بالقبور مظلمة ضعيفة الإضاءة تبصرها وقد تهدمت حيطانها وضعفت مرافقها مع اهتراء الحصر بالمسجد هذا إن وجدت أصلا، وصار الحجاب رمزا للتخلف والرجعية ، وكانت قمة المدنية والتحضر أن تمشي المرأة بالأزياء العصرية الغربية ،

والتكلم ببعض الكلمات الفرنسية أو الإنجليزية وكان ذلك عنوان الطبقة الأرستقراطية (High class) وهكذا !!

ثم عاد الإسلام مرة أخرى:

وقوي في نفوس اتباعه، وملأت بيوت الله بالمصلين وخاصة من الشباب وعادت المظاهر الإسلامية في كل مكان، حتى أنك تجد من المشاهد التي تعجبت لها في موسم الحج تبصر عن يمينك وشمالك فترى الكرة الأرضية أمامك، مسلمون من جميع أنحاء الأرض يلبون لله جل وعلا لبيك اللهم لبيك ... من الذي أتى بهم؟ من الذي دعاهم؟ من الذي وزع عليهم تذاكر الدعوة؟

من الذي ألزمهم بهذا السفر الطويل كما قال الله سبحانه وتعالى **(من كل فج عميق)** [الحج/27]
وهذا كله يدل دلالة قوية على أن هذه الأمة قد تضعف ... قد تمرض؛ لكنها لا تموت؛ لأن موتها إيذان بقيامة القيامة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم إن من شرار الخلق عند الله من تدركهم الساعة وهم أحياء.

وأخبر أنه قبل أن تقوم القيامة يبعث الله ريحا لينة، فلا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته؛ فلا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق.

فهذا الدين العظيم يقوى يوما بعد يوم وينتشر يوما بعد يوم لأنه دين لا يفرض بالسيف والقوة ولا بالإغراءات المادية، فهو علاقة مباشرة بين العبد وربه ومنهجه إسعاد البشرية كلها في الدارين الدنيا والآخرة.

كما قال ربعي بن عامر: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا بالإسلام قائمين

وأن يحفظنا بالإسلام قاعدين

وأن يحفظنا بالإسلام في كل وقت وحين.

****

الخطبة الخامسة

من دروس الهجرة

لماذا يعادون الإسلام؟

عناصر الخطبة:

أولا/ الهجرة حدث غير مجرى التاريخ

ثانيا /عبادة الأمل

ثالثا/ لماذا كانوا يعادون الإسلام؟

رابعا/ تعريف الناس بالإسلام.

الخطبة الخامسة

من دروس الهجرة

لماذا يعادون الإسلام؟

عناصر الخطبة:

أولا/ الهجرة حدث غير مجرى التاريخ.

ثانيا /عبادة الأمل.

ثالثا/ لماذا كانوا يعادون الإسلام؟

رابعا/ تعريف الناس بالإسلام.

أولا/ الهجرة حدث غير مجرى التاريخ

من الأحداث العظيمة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حدث الهجرة؛ ذلكم الحدث الكبير الذي غير مجرى التاريخ؛ حيث بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته بمكة يدعو الناس لعبادة الله وحده لا شريك له؛ فكان ما كان من اضطهاد وابتلاء وتضييق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتباعه الكرام؛ فكانت الهجرة بعد ثلاثة عشر عاما من البعثة.

هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فكانت هجرته خروجا من الضيق إلى السعة ومن الاستضعاف إلى التمكين حيث الانطلاق في آفاق الأرض كلها، ولو لم تحدث هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم لما جلسنا مجلسنا هذا ولا وقفت في مكاني هذا.

هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بالخير الذي يحمله، والنور الذي جاء به لينتشر في مشارق الأرض ومغاربها، فما بقيت بقعة على وجه الأرض الآن إلا وفيها مسلمون، وهذا كله من فضل الله جل وعلا.

والنبي صلى الله عليه وسلم بشر بهذا الانتشار فقال: (إن الله زوى لي الأرض؛ فرأيت مشارقها، ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها) صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه.

زوى لي الأرض: جمع وضم فيما يشبه مجسم الكرة الأرضية

والإنسان بطبيعته يكره التغيير والانتقال، وقد يكره أمورا كثيرة تحدث في حياته، ثم مع مرور الوقت يرى أن ما حدث له كان خيرا كبيرا، لكن حكمة الله تعالى ألا تطلع على هذا الخير ابتلاء واختبارا.

والنبي قال لمكة وهو خارج منها: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». رواه الترمذي في سننه وقال: "حديث حسن صحيح".

ورغم هذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم فكان ما كان من انتشار الإسلام.

ثانيا /عبادة الأمل

ومع التضييق الذي كان بمكة والابتلاء الذي تعرض له المسلمون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد لله بعبادة الأمل، وبث هذا الأمل في نفوس اتباعه

جاء خباب بن الأرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا، قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

ومعنى متوسد: ملتف بثيابه، أو عباءته.
ومعنى تستنصر لنا: تطلب لنا النصرة من الله عن طريق الدعاء والابتهال إلى الله.

حينما نسمع الأخبار حاليا ليس فيها شيء يسرّ مذابح وقتلى وفواجع ونزاعات عرقية، وحروب أهلية، والصراع على الحكم، ومصائب كثيرة، ودماء تسيل .... فترى بقلبك كمدا وغما لما تراه، وترى مستقبلا مظلما يائسا لا يبشر بخير.

لكن أقول هذا هو الفارق بين الإيمان القوي والإيمان الضعيف، فالمؤمن القوي يعلم أن عليه أن يسعى وليس عليه تحقيق النتائج.

اليقين في الله وعدم اليأس:

هل نتخيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي خرج من مكة مستضعفا معه عدد قليل من المسلمين بالإضافة لإخوانهم بالمدينة كان عددهم ألف وخمسمئة نفس فقط !!!هل تتخيل أن هؤلاء كانوا سببا في تغيير وجه العالم، سبحان الله العظيم!!!
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وهو على يقين من ربه أن هذا الأمر سيتمه الله وسينتشر في المشارق والمغارب، هذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لسراقة بن مالك، حينما تابعه ليحصل على جائزة قريش لمن يأتيهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حيا أو ميتا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل يقين: ارجع ولك سواري كسرى!!

في هذا المشهد وهو يخرج من مكة متخفيا تطارده أمة بأكملها ليأتوا به حيا أو ميتا وفي هذا الوقت وهذا الضيق والشدة يقول لسراقة: ارجع ولك سواري كسرى!!!هذا يقين الواثق بموعود ربه يقين لا يتزعزع.

فأنت أيها المسلم في كل الأحوال تعمل وتتحرك بإيجابية بما آتاك الله في حدود القدرات، والإمكانات المتاحة، لكن لا تيأس أبدا واستبشر خيرا.

ثالثا/ لماذا كانوا يعادون الإسلام؟

أكبر سبب لعداء قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو أنه جاء ليعبّد الناس لله وحده، وأن الجميع سواء في ظل مجتمع يتنزل فيه الوحي ويحكم الرسول فيه بالعدل والمساواة، فلا يعلو أحد على أحد ولا يقال سيد وعبد، سيد له كافة الحقوق في الحياة، وعبد لا حق له في الحياة.

فعادوا الإسلام لهذا السبب، لأنه جاء لتحرير العبيد، والتسوية بين السادة والعبيد فالناس سواسية بين يدي الله عز وجل، وإنما يتفاضلون عند الله بالتقوى.

وعملوا على تشويه النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: محمد ساحر يفرق بين الابن وأبيه والزوج وزوجته محمد كاهن شاعر مجنون محمد كذا وكذا....

وكل هذا زيف المقصود منه تنفير الناس وفضهم عنه، فيبقى العبيد عبيدا أطول فترة ممكنة.

لقد كانوا على يقين أنه رسول الله لكن حرصهم على بقاء السيادة التي يحرصون عليها أدى بهم إلى معاداتهم لرسول الله، ومعاداة هذه المساواة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والرسول صلى الله عليه وسلم من أول يوم حرص على تربية أصحابه على هذه المعاني والقيم السامية؛ حتى رأينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:

أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا

يقصد بلال بن رباح رضي الله عنه، وهذه الكلمة ما كانت تخرج من فم عمر وهو في الجاهلية، أن يقول عن بلال الذي كان عبدا حبشيا سيدنا.

وعند فتح مكة أمر بلالا أن يعلو ظهر الكعبة ويؤذن، وتخيلوا العقلية القرشية أن أحدهم قال يومها: **الحمد لله أن مات أبي قبل أن يرى هذا اليوم!!**

ولا ننس هذه الحادثة وهي أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتشفع في حد من حدود الله ؟!)، ثم قام فاختطب، ثم قال: (إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)

فأصحاب الشهوات هم الذين يعادون أهل الحق، بل ويخوفون أتباعهم من الحق بمغازلتهم في شهواتهم وأنهم سيحال بينهم وبينها، ومن ثم يستمرون في استعبادهم وإذلالهم، بالإضافة لذلك يقودون حملات تشويه الإسلام والعداوة والتضييق والابتلاء لكل من أسلم.

ولذلك لما نزل جبريل بغار حراء على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذته بعدها خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، فقال له ورقة: ليتني كنت حيا، ليتني كنت جذعا (شابا حديث السن) إذ يخرجك قومك.
فقال النبي صلى الله عليه وسلم متعجبا أو قل مستنكرا: أو مخرجي هم؟
النبي صلى الله عليه وسلم أربعين سنة يعيش مع قومه محبوبا، حتى لقبوه بالصادق الأمين وفجأة يعادونه؟ فقال النبي مستنكرا أو مخرجي هم؟ قال ورقة : **ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي .**

فشاء الله سبحانه وتعالى أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يدعو الناس للهدى ودين الحق فكان أول من ترصد له عمه والتفاصيل معروفة في أحداث السيرة.

فالعداء للنبي صلى الله عليه وسلم وللإسلام تركز في صنفين:

الأول: المنتفعين من الباطل:

لأن من يحقق المغانم، والمكاسب من وراء الباطل؛ فحتما ولا بد أن يعادي الحق، فالدود لا يعرف إلا العيش على الجيف، والخفافيش لا تحب إلا الظلام.

الأمر الثاني: الجهلة بالدين:

من لا يعرف الإسلام حق المعرفة يعاديه، فمن جهل شيئا عاداه، وهذا الصنف المستعبد المستذل متأثر بما يمليه عليه أسياده الذين يريدون بقاءه عبدا لهم.

فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليحرر هؤلاء الجهلة المستعبدين من جهلهم ويحرك العقول، واقرأوا القرآن المكي دائما الخطاب لتحريك العقل **(قل أرأيتم) [الأنعام/46] و (أفلا تعقلون) [البقرة/44] (أفلا تسمعون) [القصص/71]**

ألا تفهمون؟ أما عندكم عقول تستعملونها؟ لماذا تلغون عقولكم؟ لماذا هذا الجمود والتقليد الأعمى لآبائكم؟ لا تجعل غيرك يفكر بالنيابة عنك، لا تجعل سيدا يصيرك عبدا دائما بإلغاء عقلك.

فأراد الإسلام أن يحرر عقولهم من الجمود والتبعية والتقليد ثم الاستقلال في التفكير.

ولذلك أختم بكلمة ربعي بن عامر حينما قال لرستم قائد جيش الفرس حينما سأله قبل معركة القادسية قائلا: ما الذي جاء بكم؟ قال :

الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد،

ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام،

ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

رابعا/ تعريف الناس بالإسلام

الكثير من الناس ضحية تزييف الوعي وتشويه الصورة والتضليل حتى لا يتبع الناس الحق ولا يرون الإسلام ونحن لا نريد أن يدخل الناس في الإسلام؛ إنما نريد البيان والإيضاح ، والهداية بيد الله ، قال تعالى (**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**) [آل عمران/64]

فكونوا على الحياد لا تصادقوا الإسلام، ولا تعادوه (**فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**) [آل عمران/64]

وهذه مرحلة مهمة جدا وهي أن يصل الناس لإدراك أن الإسلام ليس عدوا لهم ، وأنه نور الله، من أراد أن ينتفع بهذا النور فليدخل فيه ومن لم يرد أن ينتفع به فلا يعاديه ، قال تعالى : (**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) [الكهف/29]

والإسلام لم ولن ينتشر بحد السيف كما زعم المغرضون ، بل كان أولى بذلك رب العباد سبحانه أن يجبر الناس بقدرته على الدين ، أو أن يخلقهم لا يعرفون إلا الإيمان به كالملائكة.

لأن العقيدة اعتقاد بالقلب؛ لا يفرض أبدا بالقوة، أو بإغراءات مادية، ولا يفرض بالإرهاب والتقتيل والتحريق.

تنصر ويريد الذهاب للحج:

أحد الدعاة ذهب إلى إندونيسيا قال فوجدت التنصير فيها على قدم وساق، وحدث أنهم استدعوا الرئيس المسؤول عن التنصير في العالم احتفالا بمجموعة من المسلمين في قرية تنصروا وحصل كل واحد منهم على ثلاثين ألف دولار، فقال هذا الرجل لأحدهم من باب جر الكلام ماذا تفعل بالثلاثين ألف دولار ؟ قال سأحج هذا العام !!!

فهذه عقيدة هل ستغيرها بالأموال، حتى لو ثلاثين ألف دولار ولا مليون ولا بأكثر سبحان الله العظيم – فلا تفرض العقيدة بالإغراء والمال أو بالإكراه، لأن العقيدة ما انعقد عليه القلب.

فالإسلام لم ولن يفرض بالقوة ولا يروج له بالتفجيرات والاعتداءات والفتاوى العوراء والجهات المشبوهة التي تسمي نفسها بأسماء رنانة وشعارات براقة ويقولون نحن حماة الإسلام وأنصار الإسلام والجهاد ..... والآن داعش في طريقها إلى التبخر، سبحان الله العظيم!
فاعرفوا دينكم وتمسكوا به، وادعوا الناس إلى الدين بالأخلاق والسلوك واتقان العمل ، وأن تكون سفيرا لدينك في كل مكان تحل فيه فتكون سبب هداية لغيرك لا فتنة لأحدهم، لا تكن سببا لأن يكره الناس الإسلام.

كن دائما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد **(كان خلقه القرآن)**

وكان **يقول : (إنما أنا رحمة مهداة)**

ويقول : (بعثت بالحنيفية السمحة)،

وكان يقول : (لم أبعث لعانا .)

****

الخطبة السادسة

المبشرات بانتصار الإسلام

عناصر الخطبة:

أولا/ بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ.

ثانيا/ وعاد الإسلام غريبا كما بدأ.

ثالثا/ بشرى الرسول صلى الله عليه وسلم.

الخطبة السادسة

المبشرات بانتصار الإسلام

عناصر الخطبة:

أولا/ بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ.

ثانيا/ وعاد الإسلام غريبا كما بدأ.

ثالثا/ بشرى الرسول صلى الله عليه وسلم.

أولا/ بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء) رواه مسلم .

يتحدث كثير من الدعاة عن آخر الزمان، وعن أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حديثا يوحي مجمله أن الكفر في إقبال، وأن الإسلام في إدبار، وأن الشر ينتصر، وأن الخير ينهزم، وأن أهل المنكر غالبون، وأهل المعروف ودعاته مخذولون.

وهذا لا شك خطأ جسيم، وسوء فهم لما ورد من بعض النصوص الجزئية، وإغفال للمبشرات الكثيرة الناصعة القاطعة، بأن المستقبل للإسلام، وأن هذا الدين سيظهره الله على كل الأديان، ولو كره المشركون.

وحسبنا قول الله تعالى: **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)** (التوبة: 33).

وقد تكررت هذه الآية مرتين، في سورتي التوبة والصف، وفي سورة الفتح **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)** (الفتح: 28).

فهذا وعد من الله تعالى بظهور دين الحق – الإسلام – على الدين كله، أي على الأديان كلها، وكان وعد الله حقا، فلن يخلف الله وعده، ولا زلنا ننتظر تحقيق هذا الوعد الذي جاءتنا بشائره بفضل الله.

لهذا أرى أن أوضح المعنى الصحيح لهذا الحديث وأنه وعشرات من الأحاديث غيره تبشر بعلو الإسلام وظهوره، حتى نبعث الأمل المحرك للعزائم، ونهزم اليأس القاتل للنفوس.

والمعنى الصحيح للحديث أن الإسلام بدأ غريبا ومن مظاهر غربته آنذاك:

1- التوحيد:

حينما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى توحيد الله فقالوا: **(أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب)** [ص:5]، فقد كانوا يعبدون ثلاثمئة وخمسة وستين صنما نصبوها حول الكعبة.

2- قلة الموحدين وكثرة المشركين:

ولم يستجب للرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قلة قليلة ، فكان حينذاك غريبا بغربة أهله ، لقلتهم وضعفهم ؛ مع كثرة خصومهم وقوتهم وطغيانهم وتسلطهم على المسلمين ، فالإسلام بدأ قليلا غريبا في مكة لم يؤمن به إلا القليل، وأكثر الخلق عادوه وعاندوا النبي صلى الله عليه وسلم وآذوه، وآذوا أصحابه الذين أسلموا، حتى هاجر من هاجر إلى الحبشة فرارا بدينه من الفتن، وبنفسه من الأذى، والاضطهاد، والظلم، والاستبداد ، وحتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى إلى المدينة بعد ما ناله من شدة الأذى ما ناله رجاء أن يهيئ الله له من يؤازره في دعوته ، ويقوم معه بنصر الإسلام ، وانتقل معه من قدر من أصحابه.

3- سرعة انتشاره وزيادة اتباعه:

وكان غريبا أيضا لسرعة انتشاره وتزايد اتباعه؛ حتى كثر أهله في المدينة وفي بقية الأمصار، ثم دخل الناس في دين الله أفواجا بعد أن فتح الله على نبيه عليه الصلاة والسلام مكة ، وقد حقق الله رجاءه فأعز جنده ونصر عبده وقامت دولة الإسلام، وانتشر بحول الله في أرجاء الأرض وجعل سبحانه كلمة الكفر هي السفلى، وكلمة الله دائما أبدا هي العليا ،

ورددها ربعي بن عامر في سمع **الزمان (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.)**

وامتدت دولة الإسلام من الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ووقف عقبة بن نافع على المحيط الأطلسي (وكان يسمى وقتها بحر الظلمات)

وعمره خمس وعشرون سنة، رافعا سيفه، وقد تبللت أقدام فرسه في البحر، وقف قائلا: **(والله لو أعلم أن خلف هذا البحر أرضا تنالها المطايا لخضت بفرسي هذا في سبيل الله)**
وكان هارون الرشيد يخاطب السحابة قائلا (أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك) [9]

فكنا كما قال القائل:

ملكنا هذه الدنيا قرونا * وأخضعها جدود خالدونا**

وسطرنا صحائف من ضياء * فما نسي الزمان ولا نسينا**

ثانيا/ وعاد الإسلام غريبا كما بدأ

ثم بدأ التفرق والوهن ودب الضعف بين المسلمين شيئا فشيئا حتى عاد الإسلام غريبا كما بدأ ، ليس ذلك لقلتهم فإنهم كانوا يومئذ كثير، وإنما لعدم تمسكهم بدينهم، واعتصامهم بكتاب ربهم وتنكبهم هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من شاء الله، فشغلهم بأنفسهم وبالإقبال على الدنيا فتنافسوا فيها كما تنافس من كان قبلهم، وتناحروا فيما بينهم على إمارتها، وتراثها ، فوجد أعداء الإسلام المداخل عليهم، وتمكنوا من ديارهم، ورقابهم؛ فاستعمروها وأذلوا أهلها، وساموهم سوء العذاب.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الأمر فعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت) رواه أبو داود .

فمثل النبي صلى الله عليه وسلم حالة الوهن التي ستصيب الأمة وتكالب الأمم عليها بقوم جياع شرهين يبحثون عن وليمة باردة سهلة يأكلونها، وعندما يجدون هذه الفريسة؛ يقف كل واحد منهم يدعو للانقضاض على هذه الأمة ونهب ثرواتها وخيراتها ، كما يدعو صاحب الطعام ضيوفه إلى الوليمة.

---

[9] والخراج: مقدار معين من المال أو الحاصلات يفرض على الأراضي التي فتحها المسلمون وتركوها لأهلها الأصليين غير المسلمين لزراعتها.

ويوضح النبي أن القلة ليست هي السبب، بل المسلمون عندما تتداعى الأمم عليهم يومئذ كثير، ولكنهم غثاء كغثاء السيل، والغثاء وهو ما ارتفع على وجه الماء وحمله السيل من الوسخ والأعواد مما لا ينفع الناس، ولا يقوم به شيء، ومعلوم أن الغثاء تبع للسيل الجارف لا يقوى على المصادمة، ولا خيار له في الطريق الذي يسلكه مع السيل الذي يحصد كل ما أتى أمامه.

وتكالبت الدول الاستعمارية على الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، وسموا دولة الخلافة العثمانية بتركة الرجل المريض، وبعد الحرب العالمية الأولى قسمت إلى دويلات تقاسمتها انجلترا وفرنسا باتفاقية سايكس بيكو التي تم الوصول إليها في مايو من عام 1916 بين الوزيرين: **الفرنسي جورج بيكو، والبريطاني مارك سايكس،** والتي اتفقا فيها على اقتسام الإمبراطورية العثمانية .

وبدأت عوامل التغريب في الفكر والثقافة والأخلاق والقيم ووصم أهل التدين بالتخلف والرجعية وظهرت دعوات الحداثة والتنوير والتغريب والعلمنة وتحرير المرأة، والانهزام النفسي والدعوة لتقليد الغربيين في كل شيء ، ونبذ الدين وفصله عن الحياة، وأن سر تقدم الغربيين هو نبذهم للدين، فلننبذ الدين كما نبذه الغربيون!!!

وسعت الدول الغربية إلى تفكيك الوحدة العقدية التي احتمى بها المسلمون في شتى بقاع الأرض، فعملت على نشر الفكر السياسي العلماني الذي يقوم على تحييد الدين في المجال السياسي والاقتصادي وحصر مفهوم التدين في أداء العبادات المحضة، وصرف اهتمام المسلمين عن الأحكام الشرعية في الجوانب الأخرى: كالمعاملات، والجنايات، والسياسة، والاقتصاد ، وما إلى ذلك.

وتبع الانحلال السياسي، انحلال عقدي وأخلاقي وفكري واجتماعي، لجعل المجتمعات الإسلامية ذات صبغة غربية في كل منطلقاتها.

ثالثا/ بشرى الرسول صلى الله عليه وسلم

وليأتين يوم قريب تتحقق فيه بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الدين العظيم بشرى تامة كاملة صادقة حينما قال: (ليبلغن هذا الأمر – يعني الإسلام – ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل دليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر) رواه ابن حبان

ومعنى ذلك أن كل منطقة من الأرض يصلها الليل والنهار سوف يبلغها الإسلام، وهذا ما يحدث فعلا هذه الأيام لأن جميع الدول اليوم فيها مسلمون، ولأن الإسلام ينتشر ويزداد الداخلون إليه كل يوم.[10]

فتحت وطأة هذا الواقع الأليم، الذي ذكرنا طرفا منه ، وفي كثافة ضباب الانحلال الذي عم الأرجاء، بزغ نور خافت، وإذا بهذا النور يتعاظم حتى اكتمل، فإذا هي شمس الإسلام الساطعة، عادت، لتعلم كل الناس أن نور الله باق، وجاءت الصحوة الإسلامية، وظهر جيل جديد في بداية السبعينيات من القرن الماضي عرف بجيل الصحوة.

ولقد كانت صحوة الأمة الإسلامية من سكرها الذي عاشت فيه عقودا متطاولة، حدثا عظيما أحيا الله به الأمة الإسلامية بعد موات، ونهض شباب الأمة، بل وشيوخها وأطفالها ونساؤها يعاضدون هذه الصحوة، كل على قدر ما يستطيع.

وقد مضى زمن كان رواد المساجد فيه هم (المسنون) الذين استدبروا الحياة، واقتربوا من حافة القبر، أما اليوم، فيشهد كل من كان بينه وبين المسجد صلة، أن رواد المساجد هم شباب في مقتبل العمر، وعاد الحجاب تزدان به الفتيات المسلمات في كل مكان، وظهرت البنوك الإسلامية والقنوات الفضائية الدينية، ومواقع الانترنت الإسلامية بشتى اللغات الحية .

وعن النعمان بن بشير عن حذيفة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا [11]، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية[12]، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت) رواه أحمد

---

[10] في موسوعة ويكيبديا: الإسلام هو ثاني الديانات في العالم من حيث عدد المعتنقين بعد المسيحية، ويصل عدد المسلمين اليوم إلى حوالي 1.9 مليار نسمة، وبهذا فإنهم يشكلون قرابة 24.8% من سكان العالم، وهو أسرع الديانات انتشارا في العالم حاليا.

[11] الملك العاض أو العضوض: هو الذي يصيب الرعية فيه عسف وتجاوز، كأنما له أسنان تعضهم عضا.

[12] الملك الجبري: هو الذي يقوم على التجبر والطغيان.

هذا الحديث يبين أن الأمة ستمر بخمسة مراحل هي:

المرحلة الأولى: النبوة حال النبوة وهو أكمل أحوالها حيث يوجد نبيها – عليه السلام – ويتنزل الوحي إليه، ويرشد الأمة إلى الحق والخير.

المرحلة الثانية: خلافة على منهاج النبوة وهي ثلاثون سنة على ما ورد وهي تلك الفترة الذهبية من عمر هذه الأمة.

وقد جاء تحديدها في الحديث الذي رواه سفينة مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: سمعت رسول – صلى الله عليه وسلم – يقول: الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك، قال سفينة: أمسك؛ خلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي ست سنين رواه أحمد

وإنما سميت هذه الفترة بالخلافة كما في بعض الروايات، وبخلافة النبوة في روايات أخرى، لأن الخلفاء صدقوا هذا الاسم بأعمالهم، وتمسكوا بسنة نبيهم – صلى الله عليه وسلم ، والتزموا الشرع في أحكامهم.

المرحلة الثالثة: الملك العاض أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم، كأنهم يعضون فيه عضا، والعض هو: الشد بالأسنان على الشيء، وأصل العضيض اللزوم وهي كناية عن شدة الاستمساك بأمر مما لزمه ولزق به .

المرحلة الرابعة: الملك الجبري والمراد به الملك بالقهر والجبر، من الإجبار وهو القهر والإكراه

وواضح أن الدورين الأول والثاني(النبوة والخلافة الراشدة) انتهيا بزوال الخلافة الراشدة .

وأن الدور الثالث(الملك العاض) استمر حتى زوال الدولة العثمانية .

وأن الدور الرابع(الملك الجبري) هو الذي نحن إن شاء الله في أواخره .

وأن الدور الخامس(الخلافة على منهاج النبوة) قادم بإذن الله .

المرحلة الخامسة: خلافة على منهاج النبوة وهذه بشارة لهذه الأمة أنه سيكون في آخرها خلافة النبوة، فيعز الإسلام وتعلو رايته وينتشر دين الله في الأرض، وهذا هو أمل الأمة التي يجب عليها أن تتشبث به، وتعمل له بجد ونشاط، وتبذل وتضحي بالغالي والنفيس، وتبذل كل طاقتها لإيجاده، وتعيد البناء الذي بناه النبي صلى الله عليه وسلم.

إن سكوته صلى الله عليه وسلم بعد إخباره عن آخر مرحلة، يدل على أن الله سبحانه وتعالى سيظهر دينه على الدين كله .

إن بعد الليل فجرا، وإن مع العسر يسرا،
وإن المستقبل للإسلام، وقد بدت بشائر الفجر، والحمد لله.

اللهم أقر أعيننا بعز الإسلام ورفعة المسلمين

وارفع راية القرآن على العالمين.

****

الخطبة السابعة

في ظلال الهجرة

الإسلام وتحرير الإنسان

عناصر الخطبة:

أولا/ رسالة الإسلام التحرر من كل عبودية لغير الله .

ثانيا/ الإسلام جاء يحارب عبودية البشر للبشر.

ثالثا/ التحرر من سلطان الشهوة.

رابعا/ تحرير العقل من الخرافة وسلطان العادات.

الخطبة السابعة

في ظلال الهجرة

الإسلام وتحرير الإنسان

تمهيد:

بعض المتكلمين والكتاب عندما يتحدثون عن الهجرة يعرّفون الإسلام على أنه دين قد نزل لمنع عبادة الأصنام وتوجيه الناس إلى عبادة الله الواحد، وأن العرب كانوا يعيشون قبائل متفرقة متناحرة فألف الإسلام بينهم ، وجعلهم أمة واحدة ، وكانوا يشربون الخمر، ويلعبون الميسر ويرتكبون المفاسد الخلقية ، فنهاهم عن ذلك ، وحرمه عليهم، كما حرم عليهم بعض العادات السيئة ، كالأخذ بالثأر ووأد البنات و ... الخ .

ودعا الإسلام المؤمنين به لنشر الدعوة فقاموا بنشرها، وقامت الحروب والغزوات التي انتهت بانتشار الإسلام إلى حدوده المعروفة اليوم.

فنتصور أن هذه كانت هي مهمة الإسلام ؛ مرحلة تاريخية وانتهت اليوم واستنفدت أغراضها ، ولتصحيح ذلك التصور الخاطئ نتناول النقاط التالية:

عناصر الخطبة:

أولا/ رسالة الإسلام التحرر من كل عبودية لغير الله .

ثانيا/ الإسلام جاء يحارب عبودية البشر للبشر.

ثالثا/ التحرر من سلطان الشهوة.

رابعا/ تحرير العقل من الخرافة وسلطان العادات.

أولا/ رسالة الإسلام التحرر من كل عبودية لغير الله .

إن الإسلام هو الرسالة الخاتمة، منهج السماء لتعبيد البشر لله رب العالمين ، ولذلك إذا أردنا أن نلخص الإسلام في جملة واحدة فماذا نقول ؟

سنقول : الإسلام في كلمة واحدة هو (**التحرر**) نعم التحرر من كل سلطان على الأرض ، من كل عبودية لغير الله سبحانه وتعالى ، أن تكون عبدا لله

وحده ،في عبادتك توحيدا وقصدا ، فتوظف حركتك في الكون وفق منهج الله سبحانه وتعالى لا بناء على شهوات وأهواء ورغبات ،أو أطماع وأحقاد. عبودية كاملة لله تنقلك من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

ماذا قال ربعي بن عامر:

وكان هذا المعنى واضحا عند الجيل الأول جيل الصحابة؛ حينما سئل ربعي بن عامر من رستم قائد جيش الفرس ما الذي أتى بكم ؟ فقال:
(إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة)

فكانت رسالة الإسلام تحرير البشر من العبودية للبشر إلى العبودية لله وحده ، ويقصد بجور الأديان : ظلم الناس باسم الدين وأخذ أموالهم وسفك الدماء واستحلال الحرمات والأعراض باسم الدين.

(ومن ضيق الدنيا) لأن الناس دائما مرتبطة بالراحة والرغد في الدنيا ولا يعتقدون في الآخرة فينتقلون بالإسلام إلى سعة الدنيا والآخرة.

وهكذا لخص ربعي رسالة الإسلام بإيجاز شديد.

هذه هي رسالة الإسلام واضحة ومعالمها بينة نحن عبيد لله لا لغيره ولذلك قال بعض العلماء :

كن عبدا لله تكن حرا

لأن العبودية لغير الله مذلة، العبودية لغير الله سخرة، واستنزاف لكل طاقة وجهد، أما العبودية لله فهي رفعة، وعزة ، من يعبد العلي الأعلى يعليه الله ويعلي قدره ، قال تعالى : -(**من كان يريد العزة فلله العزة جميعا**)- [فاطر/10] ، فجاءت رسالة الإسلام لتنتشل الناس من أوحال الشرك إلى عز التوحيد لله سبحانه وتعالى؛ أن تقول لا إله إلا الله ، وتؤمن برب عظيم قادر لا تستسلم لآلهة عاجزة لا تضر ولا تنفع ، ولا تكن عبدا لإله أضعف منك أو هناك من هو أقوى منه.

ثانيا/ الإسلام جاء يحارب عبودية البشر للبشر

أمر آخر وهو أن الإسلام جاء يحارب عبودية البشر للبشر وهذا ما لا يناسب السادة الذين ينتفعون من هذا الوضع الظالم ،فكانوا يقولون بعبادة الأصنام وتقديس الآلهة والسجود لها والذبح لها ، قالت الآلهة ، حرمت الآلهة ،

والسؤال هنا : هل هذه الآلهة تتكلم ؟ كلا ،هل هذه الآلهة تشرع ؟ كلا هل هذه الآلهة ترسل رسولا يبين للناس مراد الآلهة منها ؟ كلا .... إذن هم الناطق الرسمي باسم الآلهة الخرساء التي لا تتكلم ، الآلهة هي الستار الذي من ورائه يبررون الظلم والحرص على الشهوات والسيادة وتقديسهم من قبل العبيد الذين يستعبدونهم ويستذلونهم ، يستعبدون البشر لأنفسهم ، ويستذلونهم بالقهر والتخويف؛ فيفرضون عليهم ما يخالف الحق ، ويسلبون كرامتهم أو أعراضهم أو أموالهم أو أنفسهم.

والتحرر من طغيانهم برد السلطان كله إلى الله وحده ، وتقرير تلك الحقيقة العظمى التي ينبغي أن تكون بديهية في أذهان الناس وضمائرهم، وهي أن الله وحده مالك الملك، وهو وحده القاهر فوق عباده ، وكلهم عباده ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً . عند ذلك يتحرر الناس من خوف بشر مثلهم لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، وهو وإياهم خاضع لإرادة الواحد القهار.

فديننا علمنا أن الحاكم أجير عند الأمة ، دخل رجل على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قائلا : السلام عليك أيها الأجير! فصحح له الحاضرون قل: السلام عليك أيها الأمير، فكررها الرجل : السلام عليك أيها الأجير ، فصححوا له قل: السلام عليك أيها الأمير ، قال بل الأجير ، فقال معاوية دعوا الرجل فهو أبصر بما يقول.

فالحاكم ليس إلها ولا نصف إله ، بل هو بشر يصيب ويخطئ ويراجع ويعارض في قراراته.

لما ولي أبو بكر الخلافة قال : أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني؛ أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

ثالثا/ التحرر من سلطان الشهوة

وهي السلاح الذي يستخدمه الطغاة عن قصد أو عن غير قصد في استذلال البشر؛ فلولا حرص الناس على هذه الشهوات ما قبلوا الذل ، ولا قعدوا عن مقاومة الظلم الذي يقع عليهم .
ولذلك عني الإسلام عناية شديدة بتحرير الناس منها ، ليقفوا من الشر موقف القوي المجاهد ، لا موقف الخانع المستخزي.

والعجيب أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن صنفين من الناس سيظهرون من بعده كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(صنفان من أهل النار لم أرهما رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها)**

فالرجال الذين في أيديهم سياط كأذناب البقر هم من يتولى ضرب الناس بغير حق ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم : **(نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات)** فمعناه أنهن كاسيات كسوة لا تسترهن إما لرقتها أو لقصرها أو لضيقها، فقرن النبي صلى الله عليه وسلم بين الصنفين في حديث واحد إشارة إلى أن الفساد السياسي وانتشار الظلم يتبعه إغراق للناس في الشهوات حتى لا يفيقوا من غفلتهم أبدا ويقبلون بالظلم والخنوع ، وقد استمعت لممثل مصري يقول: (محتاجين نسبة عري في التلفزيون شوية لتكسر الكبت الموجود عن الناس)

عبودية الشهوات عبودية لا خلاص منها ، وشقاء لا راحة فيه:

وليس التحرر من سلطان الشهوات مقصوداً لمقاومة الطغاة والجبارين فحسب ، ولكنه إلى جانب ذلك هدف شخصي لكل فرد ، لينقذ نفسه من استعباد الغرائز والوقوع تحت سلطانها الجائر المذل.

إن الذي يغرق في شهواته يظن بادئ الأمر أنه يستمتع بلذائذ الحياة أكثر مما يستمتع غيره ، ولكن هذا الظن الخاطئ يسلمه بعد قليل إلى عبودية لا خلاص منها ، وشقاء لا راحة فيه؛ فالشهوة لا تشبع أبداً بزيادة الانكباب عليها ، ولكنها تزداد تفتحاً واستعاراً ، وتصبح الشغل الشاغل لمن تملكه فلا يستطيع التخلص من ضغطها عليه ، فضلاً عن التفاهة التي يهبط إليها حين يصير همه كله أن يستجيب لصياح الشهوات.

ومن هنا كان حرص الإسلام الشديد على تحرير البشر من شهواتهم ، لا بفرض الرهبنة عليهم ، ولا بتحريم الاستمتاع بطيبات الحياة ، وإنما بتهذيب استجابتهم إليها ، وإتاحة القسط المعقول من المتاع ، الذي يرضي الضرورة الفطرية، ويطلق الطاقات والهمم لتعمل لعمارة الكون وإعلاء كلمة الله في الأرض بتعبيد العباد لله وليس لشهواتهم.

وهكذا انتشرت حريات هي في الحقيقة عبوديات، حرية الغريزة فصار بعض الناس عبيداً للشهوات، فالشهوة هي التي تحركه، وهي التي تقيمه، وهي التي

تقعده، وهي التي تؤزه، وهي التي تسكنه، وهي التي تجعله يدفع، وتجعله يحجم، فأطلقوا للبشر عناناً في أنواع المحرمات والشهوات، فصار هذا عبداً لامرأة، وهذا عبداً لكأس ومخدر يدفع من أجله شبابه وثروته، بل ويسرق لأجل تحصيله، فصار هنا عبيد للنساء، وهناك عبيد للمخدرات والمسكرات، وفي ذاك التوجه عبيد للمال، وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم)، وهنالك من هو عبد للموضة للثياب والقماش:

ولذا جاء في الحديث: (تعس عبد الخميلة، تعس عبد الخميصة)

ولم يترك الإسلام الإنسان لأن يكون عبداً لنفسه واتباع شهواتها ورغباتها وملذاتها ، فتدفع به إلى المهاوي والطغيان، إنما حرره من هذه الشهوات ودعاه إلى الزهد مع القدرة دون العجز، وبالمقابل أباح له الاستمتاع بالملذات الدنيوية المباحة، ولكن بين له أن هذا المتاع قليل بمقابل متاع الآخرة، وهذا لمن اتقى ربه وعقل ذلك، قال تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [القصص: 60]

ووازن سبحانه بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة، لتحرير نفس الإنسان لشهواته، وقال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران: 14]

فالآيات الكريمة تدل على أن نظرة الإنسان في الغالب آنية وقتية، لا ينظر إلى المستقبل البعيد، ولا يقارن بين الباقي الدائم والمنقطع المؤقت، فالخالد المستمر أفضل من الزائل بسرعة، والشهوات التي ذكرت في الآية الكريمة هي التي يحدث فيها الإفراط والمغالاة أو تكون سبباً في التفريط في الواجبات الدينية، فإن قصدت ضمن الحدود المعتدلة والمعقولة لم تكن وبالاً على صاحبها، وقد تكون سبباً للثواب وزيادة الأجر، وإن قصد بها الخير والصون والعفاف وتسخيرها لمرضاة الله، فلا بد من الموازنة بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة حتى تتحرر النفس من الشهوات فلا يطغى جانب على الآخر.

كذلك حرره من الغلو والتكبر، ففرض عليه الصلاة تدريباً على التواضع والخشوع.

وفرض عليه الزكاة ليحرره من عبودية المادة ولتطهير نفسه من لوثة المال وحبه.

وفرض الصيام لكسر شهوة الجسد والطعام ولتعويد نفسه على التحمل وقوة العزيمة، وغرساً للخشية والمخافة من الله ومراقبته في السر والعلانية.
وفرض عليه الحج ليجمع هذا الخير كله.

فذلك كله لم يكن إلا لبنائه من الباطن ؛ حتى يرتفع ويسمو إلى القمة العالية ؛ فلا يركع أمام الطغاة والظلمة، ولا يركع أمام الشهوات والرغبات ، ولا يستبعد لمنزلة أو مكانة.

رابعا/ تحرير العقل من الخرافة وسلطان العادات

فقد كانت البشرية غارقة في خرافات عدة ، بعضها صنعه البشر ونسبوه إلى آلهتهم التي صنعوها بأيديهم ، وبعضها صنعه رجال الدين ونسبوه إلى الله ! وكلها نشأ من الجهالة التي كان يعيش فيها العقل البشري ، فجاء الإسلام ليخلص البشرية من الخرافة ممثلة في الآلهة المزعومة ، ويردهم إلى الله الحق ، في صورة بسيطة يفهمها العقل ويدركها الحس ويؤمن بها الضمير؛ ويدعوهم إلى إعمال عقلهم لتفهم حقائق الحياة، واسمعوا لبعض آيات القرآن:

قال تعالى : -(أفلا تعقلون)- [البقرة/44] و –(ولنبينه لقوم يعلمون)- [الأنعام/105] و –(وفي أنفسكم أفلا تبصرون)- [الذاريات/21] و –(انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون)- [الأنعام/65]

وسار الأمر على وتيرتين:

الأولى : تصحيح الاعتقاد في الإسلام وتوضيح الإسلام بصورته الناصعة التي ليس فيها أي جدال.

والأخرى :هي إظهار هؤلاء السدنة على حقيقتهم وكيف أنهم يضللون أتباعهم بما يقولون ويفعلون، ويوم القيامة سيعلنون التبرؤ من أتباعهم العميان الذين اتبعوهم بدون وعي أو بصيرة أو فهم قال تعالى : ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**﴾ **[البقرة: 166]**

كانت همة هؤلاء السادة إلغاء العقول نهائيا لتدوم تبعية العبيد لهم ؛ فجاء الإسلام ليحرر العقل ، والفهم والتفكير، لوعي الأمور وإدراكها بشكل صحيح.

جاء الإسلام ليقول لهم : اخرجوا من هذا النطاق الضيق الذي يحكمكم في شربة ماء وطعمة غذاء إلى هذا الافق الكبير وهذا الكون العظيم الذي يملكه إله قادر سبحانه وتعالى فهو الأولى بالعبادة.

فما أحوج العالم اليوم إلى الإسلام ، كما كان محتاجاً إليه قبل ألف وأربعمائة عام ! ما أحوجه إليه ينقذه من الخرافة ، ويرفع عقله وروحه من التردي فيها ، سواء كانت الخرافة هي عبادة الأوثان ، أو عبادة العلم الذي أدى بأهله إلى الإلحاد.

وما أحوج الناس إلى الإسلام اليوم ينقذهم من الطغاة والجبارين ، والجبارون اليوم كثيرون ، بعضهم ملوك ، وبعضهم أباطرة ، وبعضهم رأسماليون يمتصون دماء الكادحين ويقهرونهم بذل الفقر والحاجة ، وبعضهم دكتاتوريون يحكمون بالحديد والنار والتجسس، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

نسأل الله أن يحفظنا بالإسلام قائمين،

وأن يحفظنا بالإسلام قاعدين ،

وأن يحفظنا بالإسلام في كل وقت وحين ،

اللهم آمين.

****

الخطبة الثامنة

في ظلال الهجرة

محاسن دين الإسلام

عناصر الخطبة:

أولا: الإسلام دين عملي وواقعي.

ثانيا: من محاسن الإسلام: التوازن.

ثالثا / أنه دين يوازن بين مطالب الفرد ومطالب المجتمع.

رابعا / أن الإسلام لا يرتفع فيه أحد على أحد.

الخطبة الثامنة

في ظلال الهجرة

محاسن دين الإسلام

تمهيد:

كانت الخطبة الماضية بعنوان **(الإسلام وتحرير الإنسان)** عن معنى الإسلام وأنه رسالة سماوية، وليس حقبة تاريخية، وأنه دين جاءت شريعته ، ومنهجه لتحرير الإنسان من أي عبودية لغير الله سبحانه وتعالى؛ وحتى تكتمل الصورة نتكلم اليوم عن محاسن هذا الدين العظيم .

عناصر الخطبة:

أولا: الإسلام دين عملي وواقعي.

ثانيا: من محاسن الإسلام: التوازن.

ثالثا / أنه دين يوازن بين مطالب الفرد ومطالب المجتمع.

رابعا / أن الإسلام لا يرتفع فيه أحد على أحد.

أولا: الإسلام دين عملي وواقعي

نعم فالإسلام ليس دعوة نظرية؛ ولا دينا خياليا يحلق في آفاق المثالية؛ وإنما هو نظام عملي وواقعي يعرف حاجات الناس الحقيقية، ويعمل على تحقيقها، ويجعل منظومة الحياة منسجمة، ومتكاملة.

وجعل الله هذا الدين كاملا، وشاملا لكافة مجالات الحياة ؛ فمنه ما ينظم علاقات العباد بربهم ومنه ما ينظم علاقاتهم فيما بينهم، ومنه ما يبين الأصول العقدية التي على أساسها ينبني العمل كله، ومنه ما يهذب الأخلاق، ومنه ما يكفل مصالح الدنيا ويجعلها تمهيدا للآخرة وعمارة لها.

فالإسلام بالنسبة للمسلمين منهج حياة، يقول الله عز وجل: **(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) [الأنعام 162 /163]**

سبب نشأة العلمانية:

ولعل الغرب نبذ الدين وفصله عن الحياة وقصره على دور العبادة؛ لأنه كفر بالكنيسة وتعاليمها؛ فقد عاشت أوروبا في القرون الوسطى فترة قاسية، تحت طغيان رجال الكنيسة وهيمنتهم، وفساد أحوالهم، واستغلال السلطة الدينية لتحقيق أهوائهم، وإرضاء شهواتهم، تحت قناع القداسة التي يضفونها على أنفسهم، ثم اضطهادهم الشنيع لكل من يخالف أوامر أو تعليمات الكنيسة المبتدعة في الدين، والتي ما أنزل الله بها من سلطان، حتى لو كانت أمورا تتصل بحقائق كونية تثبتها التجارب والمشاهد العلمية.

وقد شمل هيمنة الكنيسة النواحي الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، وفرضت على عقول الناس، وأموالهم، وتصرفاتهم وصاية لا نظير لها على الإطلاق، وصارت الكنيسة تبيع صكوك الغفران ، وتبيع الجنة لمن يدفع!!! ونتيجة لانحراف الكنيسة قامت الثورة الفرنسية الرامية إلى تغيير الأوضاع السائدة، وفي مقدمتها عزل الدين عن الحياة، وحصره في داخل الكنيسة، ورفعوا شعار اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس.

ثانيا: من محاسن الإسلام: التوازن

في سبيل تحقيق هذه الواقعية سعى الإسلام إلى تحقيق التوازن، فوازن أولا في نفس الفرد بين حاجات الجسد وحاجات العقل وحاجات الروح ، ولم يترك جانبا منها يطغى على جانب آخر، فلا يكبت الطاقة الحيوية في سبيل الارتفاع بالروح فلا رهبانية في الإسلام ، ولا يبالغ في الاستجابة لشهوات الجسد إلى الحد الذي يهبط بالإنسان إلى مستوى الحيوان ، ويجمع بين ذلك كله في نظام موحد لا يمزق النفس الواحدة بين الشد والجذب، ولا يوجهها وجهات شتى متناقضة .

فالمسلم كما يقرأ قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات/56] يقرأ أيضا (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) [هود/61] أي طلب منكم عمارتها.

كما يقرأ المسلم قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) [الجمعة/9] يليها مباشرة قوله تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)[الجمعة/10]

هذا هو التوازن كما جاء به الإسلام: علاقتك بربك، ثم حركة في الكون وتفاعل مع الأسباب، عبادة لله وعمارة للكون سبحان الله العظيم!!!
ويقرأ المسلم أيضا قوله تعالى: **(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)** [الملك/15] فعلمنا الحركة في الكون طلبا للرزق والسعي للحصول عليه بأسبابه.

وقرن الله في القرآن الكريم بين من يسعون في الأرض طلبا للرزق وبين من يقاتلون في سبيله فقال تعالى: **(علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله)** [المزمل/20]

نافق حنظلة:

وقد تنبه أحد الصحابة لهذا الأمر وهو حنظلة الأسيدي، حينما لقيه أبو بكر، فسأله : كيف أنت يا حنظلة ؟
قال : نافق حنظلة، قال : سبحان الله ، ما تقول ؟
قال: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا
قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت: نافق حنظلة يا رسول الله!!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما ذاك؟
قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة، ثلاث مرات) .

ومعنى عافسنا أي: خالطنا ولاعبنا، والضيعات بمعنى: المعايش من حرث ووظيفة وتجارة وغير ذلك.

ومعنى ساعة وساعة، أي: ساعة تحضرون مجلس الذكر، وساعة تتعبدون لله تصلون وتذكرونه وتقرأون القرآن، وساعة تقومون بحقوق الزوجات والأولاد، وبما يصلح معايشكم من الأمور التي لابد للإنسان منها، وهذه سنة

الله في هذه الحياة، فليس المقصود أن تتبتل وتنقطع للعبادة فلا تفارق المسجد، ولا أن تجعل علاقتك بربك ثانوية من خلال طقوس معينة، أو أيام، أو ساعات في الأعياد فقط، كلا توازن بين الأمرين.

هذا التوازن ثمرته في حياة المسلم الشعور بالاستقرار، والسعادة ، والاطمئنان، لأن عدم الاتزان يؤدي إلى الخلل والأمراض ، ولا يخفى علينا أن أمراض الحياة المادية الحديثة الآن أغلبها ناتج عن عدم التوازن بين حاجات الإنسان الروحية والجسدية.

ثالثا / أنه دين يوازن بين مطالب الفرد ومطالب المجتمع

فلا يطغى فرد على فرد، ولا يطغى الفرد على المجتمع، ولا المجتمع على الفرد، ولا طبقة على طبقة؛ وإنما يقف الإسلام بين هؤلاء جميعا يحجز بينهم أن يتصادموا، ويدعوهم جميعا إلى التعاون في سبيل الخير للجميع.
ثم هو أخيرا يوازن في نظام المجتمع بين مختلف القوى : يوازن بين القوى المادية والقوة الروحية ، وبين العوامل الاقتصادية والعوامل الإنسانية ، فلا يعترف – كما تصنع الشيوعية – بأن العوامل الاقتصادية أو القوى المادية هي وحدها المسيطرة على الإنسان ، ولا يؤمن – كما تصنع الدعوات الروحية الخالصة أو المذاهب المثالية – بأن العوامل الروحية أو المثل العليا تستطيع وحدها أن تنظم حياة البشر ؛ وإنما يؤمن بأن هذه جميعا عناصر مختلفة يتكون من مجموعها الإنسان ، وأن النظام الأفضل هو النظام الأشمل ، الذي يستجيب لمطالب الجسد ومطالب العقل ومطالب الروح في توازن واتساق .

فالإسلام نظام لا يبالغ في الفردية كما هو النظام في الغرب، والذي يعتبر الفرد هو الأساس، وهو الكائن المقدس الذي تصان حرياته، ولا يجوز للمجتمع أن يقف في سبيله.. فنشأت الرأسمالية القائمة على أساس حرية الفرد في استغلال الآخرين.

والإسلام أيضا لا يبالغ في الاتجاه الجماعي الذي يقوم في شرق أوروبا، ويعتبر المجتمع هو الأساس ، والفرد ذرة تائهة لا كيان له بمفرده ، ولا وجود له إلا في داخل القطيع ، فالمجتمع وحده هو صاحب الحرية وصاحب السلطان ، وليس للفرد أن يحتج عليه أو يطالبه بحقوقه ، وهناك تنشأ الشيوعية القائمة على سلطان الدولة المطلق في تكييف حياة الأفراد>

إنما الإسلام نظام وسط بين هذا وذاك، يعترف بالفرد ويعترف بالمجتمع ، ويوازن بينهما ؛ فيمنح الفرد قدرا من الحرية يحقق به كيانه ولا يطغى به على كيان الآخرين ، ويمنح المجتمع – أو الدولة ممثلة المجتمع – سلطة واسعة في إعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية كلما خرجت عن توازنها المنشود .

وكل ذلك على أساس الحب المتبادل بين الأفراد والطوائف، لا على أساس الحقد والصراع الطبقي الذي تقيم عليه الشيوعية فلسفتها النظرية وتطبيقاتها العملية.

العقوبات تشمل الجميع:

ومن التوازن في الإسلام بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع أن المحرم حرام على الجميع وليس على طائفة دون طائفة والعقوبة عند المخالفة يتساوى فيها الجميع.

عن عائشة (أن قريشا أهمهم المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة ، فكلمه أسامة ، فقال الرسول : أتشفع في حد من حدود الله ، ثم خطب فقال : إنما أهلك من كان قبلكم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، فأمر النبي بقطع يدها) رواه البخاري ومسلم

وقد انهارت أمم ودول كثيرة لأنهم جعلوا القوانين خادمة للكبار والعقوبات الرادعة للصغار فالكبير لا يعاقب والصغير لا يخدمه قانون.

تحريم الحرام أمان للمجتمع كله:

ذكر الشيخ الشعراوي في كتابه الحلال والحرام: إن البعض ينظر إلى مسألة الحلال والحرام نظرة ضيقة فيري أن الله حرم عليه السرقة، وحرم عليه القتل، وحرم عليه الزنا ، لو وسعت الدائرة لعلمت أن الله لم يحرم عليك وحدك القتل؛ بل حرم على جميع أهل الارض أن يقتلوك ، ولم يحرم عليك أنت وحدك السرقة ، بل حرم على جميع أهل الأرض أن يسرقوك، ولم يحرم عليك وحدك الزنا ، إنما حرم على جميع الأرض أهل الأرض أن ينالوا من عرضك من أمك أو زوجتك أو أختك أو ابنتك!!

رابعا / أن الإسلام لا يرتفع فيه أحد على أحد

لا في لون ولا جنس ولا عرق، وهذا المعنى وإن توصلت إليه البشرية في أيامنا تلك ويعدونه الآن من المسائل الحضارية، وهناك الاتفاقيات وجمعيات حقوق الإنسان والأمم المتحدة، لكن أنت تبصر هذا واقعا في الإسلام وليس حبرا على ورق.

وقف النبي صلى الله عليه وسلم يؤسس لهذا الدستور الأخلاقي العظيم يوم حجة الوداع وقف قائلا: (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)

فالإسلام نجح أن يحول هذه المبادئ من كلام إلى واقع يراه العالم كله، وربى النبي أصحابه على هذا المبدأ العظيم؛ **فعن المعرور بن سويد قال لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال إني سببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم :(يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم) رواه البخاري.**

وبهذه الروح انطلق الصحابة كأمواج البحر الطاهرة فغسلوا الأرض من دنس الشرك والكبر والقهر والظلم والعنصرية، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها، ودانت لهم الدنيا بالطاعة ، وما عرف أن أمة توحدت وارتبطت حتى كانت كجسم واحد رغم تفاوت أجناسها ولغاتها ، إلا أمة الإسلام .
وهذا هو السر في انتشار الإسلام في جميع أنحاء العالم، فالناس فيه سواسية كأسنان المشط لا يتفاضلون عند الله إلا بالتقوى.

وبعد ثلاثة عشر قرنا من الزمن عرفت الأمم هذا المبدأ وفخرت به وظنت أنها وقعت على شيء جديد لم يعرف من قبل، وتجاهلت أن الإسلام العظيم قد جاء بهذه المثل العليا قبل زمن طويل في وقت كان البشر غارقين في العبودية بل وتقديس الطغيان ، فجاء الإسلام العظيم بهدم مزايا الأجناس والظلم وإلغاء الفروق الجنسية والتمييز العنصري والتعويل على التقوى والعمل الصالح وحدهما .

خلاصة الخطبة:

1-الإسلام دين سماوي شامل يحرر الإنسان من العبودية لغير الله.

2-يتميز بالواقعية والعملية ويعالج حاجات الإنسان المتنوعة.

3- يشمل جميع جوانب الحياة من عبادة وأخلاق ومعاملات ونظام اجتماعي.

4-يحقق التوازن بين حاجات الجسد والعقل والروح.

5- يوازن بين العبادة والعمل وعمارة الأرض.

6- يوازن بين الفرد والمجتمع فلا يطغى طرف على الآخر.

7-يرفض الإفراط في الفردية كالرأسمالية والذوبان في الجماعة كالشيوعية.

8- يقر العدالة الشاملة والعقوبات تشمل الجميع دون تمييز.

9- الإسلام دين المساواة لا فضل فيه لأحد على أحد إلا بالتقوى.

10-الإسلام سبق النظم الحديثة في نبذ التمييز العنصري وطبق ذلك واقعا.

****

الخطبة التاسعة

أبو بكر الصديق

ثاني اثنين إذ هما في الغار

عناصر الخطبة:

أولا/ من مناقب أبي بكر الصديق.

ثانيا/ أبو بكر ثاني اثنين إذ هما في الغار.

ثالثا/ إنفاق ماله كله في سبيل الله.

رابعا / هل نص النبي على خلافة أبي بكر له؟

خامسا/ وفاة أبي بكر الصديق.

الخطبة التاسعة

أبو بكر الصديق (ثاني اثنين إذ هما في الغار)

تمهيد:

من واجبنا ألا نغفل الحديث عن هذه الصفوة المباركة وهذا الجيل الرباني الذي تخرج في مدرسة النبوة، فإن ديننا العظيم لم يأت إلينا إلا من خلال هؤلاء الكرام ؛ عبر جهاد طويل بذل فيه هؤلاء الرجال أنفسهم وأموالهم لله .

وسأتكلم معكم اليوم عن رجل هو أفضل الأمة بعد نبيها بلا خلاف ، وما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على رجل خير منه ؛ إنه

أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

عناصر الخطبة:

أولا/ من مناقب أبي بكر الصديق.

ثانيا/ أبو بكر ثاني اثنين في الغار.

ثالثا/ إنفاق ماله كله في سبيل الله.

رابعا / هل نص النبي على خلافة أبي بكر له؟

خامسا/ وفاة أبي بكر الصديق.

أولا/ من مناقب أبي بكر الصديق

أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو أحد أعظم الشخصيات في تاريخ الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من آمن برسالة النبي محمد ﷺ من الرجال، ورافقه في دعوته وساهم بشكل كبير في نشر الإسلام ،وكان مثالا يحتذى به في الزهد والتقوى، وله مناقب وفضائل كثيرة سطرت فيها مجلدات وذلك لعظم مكانته وفضله رضي الله عنه.

ومن أجمع الكلمات في حقه قول إمام التابعين سعيد بن المسيب: أبو بكر ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام وكان ثانيه في الغار وثانيه في العريش يوم بدر، وكان ثانيه في إمامة المسلمين الصغرى ، وإمامتهم

الكبرى، وكان ثانيه في القبر، وما قدم المسلمون، ولا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر أحدا .

ومما ورد في فضائله:

1- أول من أسلم من الرجال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وما عرضتُ الإسلام على أحد إلا كانت له كَبْوَة[13] ، إلا أبو بكر، فإنه لم يَتَلَعْثَم في قوله) [14]

2- ومن فضائله أنه أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فقد سأل عمرو بن العاص رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . قال : قلت : من الرجال ؟ قال : أبوها . رواه مسلم

3- شدة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم:

قالت أسماء بنت أبي بكر:لما دخل رسول الله ﷺ مكة، جاء أبو بكر بصحبة أبيه أبي قحافة (لأنه كفَّ بصره)، فلما رآه النبي ﷺ، قال له: «هَلا تَرَكْتَ الشَّيخَ في بَيْتِهِ حتّى آتيَه؟»

فأجاب أبو بكر رضي الله عنه: «هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه يا رسولَ الله». فأجلسه النبي ﷺ بين يديه، ثم مسح صدره، وقال: «أسلم» فآمن) رواه مسلم

ويروي أن أبا بكر بكى، فقالوا له : هذا يوم فرحة، فأبوك أسلم ونجا من النار فما الذي يبكيك؟

قال: لأني كنت أحب أن الذي بايع النبي صلى الله عليه وسلم الآن أبو طالب(عم النبي) لأن ذلك كان سيسعد النبي أكثر!!

---

[13] ومعنى (كبوة) كبا الفرس يكبو: إذا خرّ لوجهه، والمراد: أن أبا بكر رضي الله عنه لم يتوقف في تصديقه النبي - صلى الله عليه وسلم- كما يجري للعاثر، إنما بادر إلى التصديق.ومعنى (التلعثم) : التردُّد في القول والفعل والتَّتعتع فيه، وهو قريب من الكبْوة في الاستعارة.

[14] الحديث أخرجه البلاذُري في أنساب الأشراف (1914) وهو ضعيف لأنه مرسل القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وله شاهد من حديث البخاري عن أَبِي الدَّرْدَاءِ وفيه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ» فهذا شاهد صحيح يقوي هذا الحديث، فهو به صحيح لغيره .

ويذكر أن رجالا كانوا يتحدثون في خلافة عمر رضي الله عنه فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما ، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال : والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر ، لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي ؟

فقال : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك .

فقال :يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ؟

قال : نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك ، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة ، فدخل واستبرأ ، قم قال : انزل يا رسول الله ، فنزل .

فقال عمر : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر . رواه الحاكم والبيهقي في دلائل النبوة .

4- ومن فضائله أن النبي اتخذه أخا له وصاحبا:

وروى البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما صاحبكم فقد غامر .

وقال : إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي ، فأقبلت إليك فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر – ثلاثا –

ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل : أثم أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النبي فجعل وجه النبي يتمعر ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله والله أنا كنت أظلم – مرتين –

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي – مرتين – فما أوذي بعدها .

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله .

قال : فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر .

5- سبب تسميته بالصديق:

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الله تعالى هو الذي سمى أبا بكر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم صديقا وسبب تسميته أنه بادر إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازم الصدق فلم تقع منه هنات ولا كذبة في حال من الأحوال.
- ولما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ذهب أبو جهل لأبي بكر رضي الله عنه:ليشككه في كلام النبي ﷺ فقال: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟
قال: – لئن كان قال ذلك، فقد صدق، إني لأصدّقه فيما هو أبعد من ذلك؛ أصدّقه بخبر السماء غدوة أو روحة، فلذلك سُمّي أبو بكر الصديق.

6- ومن فضائله رضي الله عنه أنه يدعى من أبواب الجنة كلها

في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير ؛ فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان .

فقال أبو بكر : ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر .) رواه البخاري ومسلم .

7- ومن فضائله أنه جمع خصال الخير في يوم واحد:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم اليوم صائما ؟

قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا .

قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟

قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا .

قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟

قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا .

قال : فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟

قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن في أمرئ إلا دخل الجنة .

8- ورعه وتحريه الحلال :

- كان أبو بكر إذا مدح قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم. اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون.

- وقالت عائشة رضي الله عنها : كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوما بشيء ، فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : تدري ما هذا ؟ فقال أبو بكر : وما هو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته ، فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه . رواه البخاري .

- وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال : لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال : يا عائشة أنظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبح فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين ، فإذا مت فارديه إلى عمر ، فلما مات أبو بكر

رضي الله عنه أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه : رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك .

ثانيا/ أبو بكر ثاني اثنين إذ هما في الغار

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها؛ حديث الهجرة أذكره بشيء من الاختصار:

قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين: (إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان) فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي. فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم) فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه، وعلف راحلتين كانت عنده. فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها. فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له، فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : أخرج من عندك؟ فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله.

قال: فإني قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم. قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بالثمن).

قالت عائشة : (فجهزناهما أحث (أسرعه) الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب؛ فبذلك سميت ذات النطاقين ، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر في غار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ؛ وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت؛ فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل، وهو لبن منحتهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس،

يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر رجلا من بني الديل؛ وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل؛ فأخذ بهم طريق السواحل.

وقال سراقة بن جعشم يقول: (جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أشخاص أراها محمدا وأصحابه) ، قال سراقة : (فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا، انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت برمحي الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره. أي: لا يمضي ويرجع.

فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا بأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية.

وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني لم يأخذا مني شيئا ولم يسألاني إلا أن قالا: أخفِ عنا فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وسمع المسلمون في المدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم ورجعوا إلى بيوتهم.

فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم على حصن قلعة لليهود، أشرف عليها اليهودي بعدما انصرف المسلمون الذين كانوا ينتظرون النبي لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون جدكم أي: حظكم فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة.

التعليق على الرواية المذكورة:

(جاء النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر في نحر الظهيرة) اختار صلى الله عليه وسلم الوقت الذي يأتي فيه لأبي بكر الصديق يكون الناس فيه مرتاحين يأوون إلى بيوتهم أو نياما لشدة الحر في الظهيرة (القيلولة)، فاستغرب آل أبي بكر الصديق قالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا (مغطيا رأسه)

عرف الصديق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء لأمر مهم، فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أخرج من عندك؟)** لأن النساء والصبيان ربما يتكلمون مع أحد، ولكن الصديق رضي الله عنه قال: **(إنما هما ابنتاي، إنما هم أهلك يا رسول الله)** عائشة وأسماء رباهم الصديق على عينه، ويثق في كتمانهما.

قوله: (الصحبة يا رسول الله قال: نعم) في رواية قالت عائشة: (فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب أن أحدا يبكي من الفرح) وهذا من إخلاصه رضي الله عنه؛ لأن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة شرف لا يعادله شرف؛ ولذلك بكى الصديق من الفرحة.

فالبكاء: أنواع منه: بكاء حزن، وبكاء فرحة، وبكاء دهشة، وبكاء ألم، فالبكاء أنواع، أما بكاء أبي بكر فقد كان بكاء فرحة.

وعرض الصديق من كرمه وبذله في سبيل الله إحدى راحلتيه على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام: **(لا أركب بعيرا ليس لي. قال: هو لك. قال: لا. ولكن بالثمن).**

لماذا لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم عطية صاحبه؟

قالوا: لأنه أراد أن يكسب أجر الإنفاق على الهجرة من ماله؛ لأن الهجرة هنا سفر طاعة عظيم، كلما أنفق الإنسان فيه كان أكثر أجرا، فأحب ألا تكون هجرته إلا من مال نفسه.

قيل: إن هذه الناقة التي أخذها النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر الصديق بالثمن هي القصواء؛ وقد عاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم قليلا ثم ماتت في خلافة أبي بكر الصديق .

(وصنعنا لهما سفرة في جراب) وعاء للزاد يوضع فيه الزاد من الماء والطعام، جهزته عائشة وأسماء راحلتي النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبيهما أفضل الجهاز وكل ما يحتاج إليه في السفر.

لماذا قال تعالى في قصة الغار: (فأنزل الله سكينته عليه) ولم يقل عليهما ؟

في قوله تعالى : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة/40.

الراجح أن الضمير يعود على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (**فأنزل الله سكينته عليه**) على أبي بكر ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم تزل السكينة معه ؛ لأن الله أخبر عنه أنه قال : (**لا تحزن إن الله معنا**) فأنزل الله سكينته على أبي بكر ليأمن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فسكن جأشه ، وذهب روعه ، وحصل له الأمن

والضمير يعود على أقرب مذكور، وهو أبو بكر ؛ لأنه تعالى قال : (**إذ يقول لصاحبه**) **والتقدير** : إذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر لا تحزن، فأنزل الله السكينة على أبي بكر ليصير ذلك سببا لزوال خوفه.

ثالثا/ إنفاق ماله كله في سبيل الله.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مالا فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما .
قال : فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال : يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟
فقال : أبقيت لهم الله ورسوله !
قال عمر قلت : والله لا أسبقه إلى شيء أبدا . رواه الترمذي .

وقال سبحانه : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: 17-21]

وهذه الآيات نزلت في ابي بكر رضي الله عنه ، عندما أعتق **بلال بن رباح** رضي الله عنه من العذاب الذي كان يلاقيه في سبيل الله.

رابعا / هل نص النبي على خلافة أبي بكر له؟

ليس عندنا قولا صريحا عن النبي صلى الله عليه وسلم ينص على خلافة أبي بكر لكن هناك عدة دلائل على صحة هذا الأمر:

1- أمره النبي وهو في مرضه أن يصلي بالناس:

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مرض النبي مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال : مروا أبا بكر فليصل .
قلت : إن أبا بكر رجل أسيف [وفي رواية : رجل رقيق] إن يقم مقامك يبكي فلا يقدر على القراءة . قال : مروا أبا بكر فليصل . فقلت مثله : فقال في الثالثة – أو الرابعة – : إنكن صواحب يوسف ! مروا أبا بكر فليصل ، فصلى .
ولذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفلا نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله لديننا ؟!

2- ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر :

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه : ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتابا ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر .

3- إن لم تجديني فأتي أبا بكر :

وجاءت امرأة إلى النبي فكلمته في شيء فأمرها بأمر ، فقالت : أرأيت يا رسول الله إن لم أجدك ؟ قال : إن لم تجديني فأتي أبا بكر . رواه البخاري ومسلم .

خامسا/ وفاة أبي بكر الصديق

قيل: إنه اغتسل وكان يوما باردا فأصابته الحمى خمسة عشر يوما لا يخرج إلى الصلاة فأمر عمر أن يصلي بالناس، ولما مرض قال له الناس: ألا ندعو الطبيب؟ فقال: أتاني وقال لي: أنا فاعل لما أريد، فعلموا مراده وسكتوا عنه ثم مات.

وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن وأن يكفن في ثوبيه ويشتري معهما ثوب ثالث، وقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت إنما هو للمهلة والصديد. وتوفي في يوم الاثنين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة .

رضي الله عن أبي بكر الصديق
وجزاه الله عنا خير الجزاء
وجمعنا الله مع نبينا وصحابته الكرام
في جنات ونهر
في مقعد صدق عند مليك مقتدر
اللهم آمين.

****

الخطبة العاشرة

مصعب بن عمير

عناصر الخطبة:

أولا / إسلام مصعب بن عمير.

ثانيا/ الرسول يبعثه داعية إلى المدينة.

ثالثا/ مصعب بن عمير المجاهد في سبيل الله.

رابعا/ كلمة لشبابنا.

الخطبة العاشرة

مصعب بن عمير أول داعية للإسلام بالمدينة

هذه الخطبة عن الصحابي الجليل **(مصعب بن عمير)** رضي الله عنه.
كان مصعب شابا غنيا منعما حسن الوجه لطيف المعاملة ، فضحى بذلك كله لله ، وأسلم وتحمل الأذى في سبيل الله ، وأرسله رسول الله قبل الهجرة إلى المدينة فكان له دور كبير في تهيئة أهلها ودعوتهم للإسلام ، فأسلم على يده خلق كثير، فلا ينبغي إغفال دوره في الهجرة.

عناصر الخطبة:

أولا / إسلام مصعب بن عمير.

ثانيا/ الرسول يبعثه داعية إلى المدينة.

ثالثا/ مصعب بن عمير المجاهد في سبيل الله.

رابعا/ كلمة لشبابنا.

أولا / إسلام مصعب بن عمير

كان في صغره وقبل إسلامه شابا جميلا مدللا منعما، يلبس من الثياب أغلاها، يعرفه أهل مكة بعطره الذي يفوح منه دائما.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول: **(ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير)**

وأبوه وأمه من أغنى أغنياء مكة، وكانا يحبانه حبا شديدا، فرغباته كلها منفذة، وطلباته كلها مجابة.

سمع مصعب ما سمعه أهل مكة من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم التي ينادى فيها بعبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، والمساواة بين الناس، والتحلي بمكارم الأخلاق، فتحركت نفسه، وتاقت جوارحه أن يتعرف على هذا الدين الجديد.

ولم يمض غير قليل حتى أسرع للقاء النبي في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأعلن إسلامه.

وكانت أمه خناس بنت مالك تتمتع بقوة شخصيتها، وكان مصعب يهابها، ولم يكن حين أسلم يخشى شيئا قدر خشيته من أن يتسرب خبر إسلامه إلى أمه، فقرر أن يكتم إسلامه حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، وأخذ يتردد على النبي في دار الأرقم، يصلي معه ويستمع إلى آيات الله.

وذات يوم رآه عثمان بن طلحة وهو يصلي مع الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فذهب إلى أمه وأخبرها بما رأى، فطار صوابها، وغضبت عليه هي وقومها غضبا شديدا.

لكن الفتى المؤمن وقف أمامهم يتلو عليهم القرآن في يقين وثبات، لعل الله يشرح به قلوبهم، ولم يشأ الله هدايتهم بعد، فقرروا حبسه، وعذبوه، فصبر واحتسب ذلك كله في سبيل الله.

ومنعت أمه عنه الطعام ذات يوم، ورفضت أن يأكل طعامها من هجر آلهتها ولو كان ابنها، وأخرجته من دارها، وهي تقول له: اذهب لشأنك لم أعد لك أما.

ورغم كل هذا يقترب مصعب من أمه ويقول لها: يا أمه أني لك ناصح، وعليك شفوق، فاشهدي أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله.

فتجيبه غاضبة: قسما بالآلهة، لا أدخل في دينك، فيزري برأيي ويضعف عقلي.
وعندما سمع مصعب بخروج بعض المؤمنين مهاجرين إلى الحبشة هاجر معهم، ثم عاد إلى مكة مع الذين عادوا إليها، فرآه قومه بعد رجوعه فرقت قلوبهم، وكفوا عن تعذيبه.

ثانيا/ الرسول يبعثه داعية إلى المدينة

وبعد بيعتي العقبة الأولى جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم من آمن من الأنصار، وطلبوا منه أن يرسل معهم من يقرئهم القرآن ويعلمهم أمور دينهم، فاختار الرسول مصعبا ليكون أول سفير له خارج مكة، وأول مهاجر إلى المدينة المنورة.

دعوته في المدينة:

وكان مصعب يدعو الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فأسلم على يديه سادة أهل المدينة، مثل: أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ.

وقصة ذلك أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب يوما، واجتمع إليهما رجالا من المسلمين – وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدا قومهما من بني عبد الأشهل يومئذ على الشرك – فلما سمعا بذلك قال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين اللذين أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما عن أن يأتيا ديارنا، فإن أسعد ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا.

فأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما: فلما رآه أسعد قال لمصعب، هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، وجاء أسيد فوقف عليهما متشمتا، وقال: ما جاء بكما إلينا تسفها ضعفاءنا، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة!!!

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته نكف عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس فكلمه مصعب عن الإسلام، وتلا عليه القرآن قال: فو الله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله.

ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله؟ كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ فقالا له: كيف يفعل فاغتسل، وطهر ثوبه، وتشهد وصلى ركعتين.
ثم قال: إن ورائي رجلا إن أسلم لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرشده إليكما الآن، ثم ذهب إلى سعد بن معاذ فلما رآه سعد قال لقومه: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما وقف أسيد على النادي قال لسعد: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، ثم حث سعدا على الذهاب فلما ذهب سعد ورآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: جاءك والله من وراءه قومه، إن يتبعك لم يتخلف عنك منهم أحد.

وجاء سعد فوقف عليهما متشمتا، فقال مصعب لسعد بن معاذ: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته فجلس فعرض مصعب الإسلام عليه وقرأ عليه القرآن فانشرح صدره.
ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم فقال: تغتسل وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، ففعل ذلك، ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادي قومه فلما رأوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به.

ثم بدأ هنا سعد بن معاذ يدعوا إلى دين الله الذي اعتنقه وصدق به، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى

تؤمنوا بالله ورسوله ، فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة إلا رجلا واحدا، يدعى الأصيرم تأخر إسلامه إلى يوم أحد.

وأقام مصعب يدعو إلى الله حتى لم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون منها.

هذا هو مصعب قد قام بمهمته خير قيام وقبل حلول موسم الحج عاد مصعب إلى مكة يحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشائر النصر والفوز ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير وما لها من قوة ومنعة لنصرة هذا الدين، فسر النبي وبايع الأنصار في هذا الموسم في السنة الثالثة عشرة من النبوة وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين.

وبايعوه على أن يمنعوه صلى الله عليه وسلم مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأولادهم وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى نصرة رسول الله النصرة التامة وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال قائل منهم: فما لنا يا رسول الله؟

قال: (لكم الجنة) ، قالوا: رضينا، ثم انتهت البيعة وأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى يثرب وسماها بعد ذلك المدينة النبوية.

ثالثا/ مصعب بن عمير المجاهد في سبيل الله

في غزوة بدر:

وتمضي الأيام والأعوام، ويهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، وتغضب قريش، وتعد العدة لقتال المسلمين، ويلتقي جيش المسلمين والكفار في غزوة بدر، وينتصر المسلمون.

وفي غزوة أحد:

اختار الرسول مصعبا ليحمل اللواء، ونشبت معركة رهيبة واحتدم القتال، وكان النصر أول الأمر للمسلمين، ولكن سرعان ما تحول النصر إلى هزيمة لما خالف الرماة أمر رسول الله ، ونزلوا من فوق الجبل يجمعون الغنائم، وأخذ المشركون يقتلون المسلمين، وبدأت صفوف المسلمين تتمزق.

وركز أعداء الإسلام على الرسول وأخذوا يتعقبونه، فأدرك مصعب هذا الخطر، وصاح مكبرا، ومضى يجول ويصول، وهمه أن يلفت أنظار الأعداء إليه؛ ليشغلهم عن رسول الله.

استشهاده:

وتجمع حوله الأعداء، فضرب أحدهم يده اليمنى فقطعها، فحمل مصعب اللواء بيده اليسرى، فضرب يده اليسرى فقطعها، فضم مصعب اللواء إلى صدره بعضديه، وهو يقول: وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل، فضربه أعداء الله ضربة ثالثة فقتلوه، واستشهد مصعب.

وبعد انتهاء المعركة جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتفقدون أرض المعركة، ويودعون شهداءها، وعند جثمان مصعب سالت الدموع ، ولم يجدوا شيئا يكفنونه فيه إلا ثوبه القصير، إذا غطوا به رأسه انكشفت رجلاه، وإذا وضعوه على رجليه ظهرت رأسه .

يقول خباب بن الأرت :هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى لسبيله لم يأكل من أجره شيئا منهم: مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر)** وهو نبات معروف طيب الريح، متفق عليه.
ومضى مصعب إلى رحاب الله سبحانه، وصدق فيه قول الله تعالى: **{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}** [الأحزاب: 32]

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ينظر إلى شهداء أحد: (أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه) الحاكم والبيهقي.

رابعا/ كلمة لشبابنا

فهل لشبابنا أن يتخذوه قدوة لهم ويكونوا مثله على الأقل في مجال الدعوة إلى الله والعبادة والعمل الصالح؟

وهل لشبابنا أن يتذاكروا بطولات هؤلاء الرجال من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدل بطولات لاعبي الكرة ومغامرات السفهاء ومدمني المخدرات؟

إذا أردنا أن ننهض بشباب الأمة فيجب علينا أن نربيهم على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى سيرة الرعيل الأول كأمثال حمزة ومصعب وجعفر وابن رواحة وابن عمر وابن عباس وأسامة بن زيد وغيرهم وهم كثير، ولله الحمد ونغرس فيهم التفاني من أجل الدين ونرتفع بهم من ثقلة الأرض إلى علو السماء، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وأن نؤدبهم على ذلك من الصغر، حتى تصبح عزة أحدهم بدينه طابعا لا تطبعا وخلقا لا تخلقا، فحينئذ نجني الثمرة المرجوة من شبابنا.

****

الخطبة الحادية عشر

بين عامين

وقفة صادقة مع النفس

عناصر الخطبة:

أولا/ حال الناس في نهاية العام.

ثانيا/ وقفة عظة وعبرة.

ثالثا/ محاسبة النفس.

الخطبة الحادية عشر
بين عامين
وقفة صادقة مع النفس

تمهيد:

بعد أيام قليلة ينتهي عام، ونستقبل عاما هجريا جديدا، هذا عام يمضي من أعمارنا وكأنه ساعة من نهار، فالأيام تمر سراعا، وتجر خلفها الأعمار، وتنقضي الآجال، وكان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يقف الواحد مع نفسه ليحاسبها قبل فوات الأوان.

عناصر الخطبة:

أولا/ حال الناس في نهاية العام.

ثانيا/ وقفة عظة وعبرة.

ثالثا/ محاسبة النفس.

أولا/ حال الناس في نهاية العام

الناس في نهاية العام تختلف رغباتهم ويتغاير شعورهم؛ فمنهم من يفرح، ومنهم من يحزن، ومنهم من يكون بين ذلك سبيلا، فهناك من يفرح بانقضاء العام، لأن ماله أو ممتلكاته زادت، وآخر يفرح بانقضاء عامه من أجل ترقية في عمله، أو حصوله على شهادة أو درجة علمية، إلى غير ذلك من المقاصد التي تفتقر إلى المقصد الأسمى وهو المقصد الأخروي، فالفرح بقطع الأيام والأعوام دون اعتبار وحساب لما كان فيها ويكون بعدها هو من الغفلة؛ فالعاقل من اتعظ بأمسه، واجتهد في يومه، واستعد لغده.

وصدق القائل:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها * وكل يوم مضى يدني من الأجل**

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا * فإنما الربح والخسران في العمل**

نعم كل يوم يمر بنا يقربنا إلى الأجل الذي كتبه له بالموت، ومفارقة هذه الدنيا.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. أخرجه البخاري.

ثانيا/ وقفة عظة وعبرة

في نهاية هذا العام وددت لو توقفنا وقفة عظة وعبرة:

- فكم من حبيب فيه فارقنا!
- وكم من اختبار وبلاء فيه واجهنا!
- وكم من سيئات فيه اجترحنا!
- وكم من عزيز أمسى فيه ذليلا!
- وكم من غني أضحى فيه فقيرا!
- وكم من حوادث عظام مرت بنا!
- ولكن أين المعتبرون المبصرون؟

وتعاقب الشهور والأعوام على العبد، قد يكون نعمة له أو نقمة عليه، فطول العمر ليس نعمة بحد ذاته، فإذا طال عمر العبد ولم يعمره بالخير فإنما هو يستكثر من حجج الله تعالى عليه.

عن أبي بكرة –رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله) أخرجه الإمام أحمد

قال قتادة رحمه الله: اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نغتر بطول أعمارنا.

ولما سئل التابعي الجليل أبو حازم: كيف القدوم على الله؟ قال: أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله، وأما العاصي فكقدوم العبد الآبق (الهارب) على سيده.

في كل يوم يمضي تزيد أعمارنا وتنقص آجالنا:

فالليل والنهار يباعدان من الدنيا ويقربان من الآخرة، فطوبى لعبد انتفع بعمره! فاستقبل عامه الجديد بمحاسبة نفسه على ما مضى، وتاب إلى الله عز

وجل، وعزم على ألا يضيع ساعات عمره إلا في خير؛ لأنه يذكر دائما قول نبيه صلى الله عليه وسلم: **(خيركم من طال عمره وحسن عمله)**، وهو يلهج دائما بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (**اللهم اجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر.)**

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يعظ رجلا ويقول له: (اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) أخرجه الحاكم.

فالعمر يمر علينا، بل يجري بنا، ونحن في هذه الدنيا كراكبي القطار إن ناموا، أو استيقظوا، أو أكلوا، أو شربوا، أو لعبوا، أو تعبوا؛ فالقطار يجري وبسرعة ....
وهكذا العمر يمضي أطعت ...عصيت ... صدقت ...كذبت ...العمر يجري لا يتوقف.

فيا من بقي من عمره القليل، ولا يدري متى يقع الرحيل، يا من ستفوت أيامه، أدركها، نفسك أعز ما عليك فلا تهلكها!!

فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) رواه مسلم.

أي: كل الناس يبدأ يومه من الغدوة بالعمل، فمنهم من يتجه إلي الخير، ومنهم من يتجه إلى الشر، فالمسلم الطائع يغدو وهو بائع نفسه لله، باعها بيعا يعتقها فيه؛ ولهذا قال: **(فبائع نفسه فمعتقها)** فبائع نفسه فيما يعتقها وينجيها من النار، نسأل الله أن يجعلنا جميعا منهم.
(أو موبقها) مهلكها، بائع نفسه يهلكها، لأنه يبدأ يومه بمعصية الله.

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي.

وقال الحسن البصري ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة.

ويقول أيضا: يا ابن آدم، إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك.
وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما)!

منذ ستين سنة وأنت تسير إلى الله:

قال الإمام الفضيل بن عياض لرجل: كم عمرك؟

فقال: ستون سنة .

قال: إذًا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله تُوشِك أن تَصِل .

فقال الرجل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

فقال الفضيل: يا أخي، هل عرفتَ معناها .

قال الرجل: نعم، عرفت أني لله عبد، وأني إليه راجع .

فقال الفضيل: يا أخي، مَن عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع، عرف أنه موقوف بين يديه، ومَن عرف أنه موقوف عرف أنه مسؤول، ومَن عرف أنه مسؤول فليُعدَّ للسؤال جوابًا!!

فبكى الرجل، فقال: يا فضيل، وما الحيلة؟

قال الفضيل: أن تتقيَ الله فيما بقي، يَغفِر الله لك ما قد مضى وما قد بقي.

إلهي لا تُعذِّبني فإني ... مُقِرٌّ بالذي قد كان منِّي

وما لي حيلةٌ إلا رجائي ... لعفوكَ إن عفوتَ وحُسْنُ ظنِّي

وكم من زلة لي في البرايا ... وأنتَ عليَّ ذو فضلٍ ومنِّ

أُجنُّ بزهرة الدنيا جنونًا ... وأقطع طولَ عمري بالتمنِّي

يظنُّ الناس بي خيرًا وإني ... لشرُّ الخَلْق إن لم تَعْفُ عني

ثالثا/ محاسبة النفس

قال عمر بن الخطاب: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر على الله.

- فهل خلوت بنفسك يوما فحاسبتها عما بدر منها من الأقوال والأفعال؟
- وهل حاولت يوما أن تعد سيئاتك كما تعد حسناتك؟

- هل تأملت يوما طاعاتك التي تفتخر بذكرها؟! فإن وجدت أن كثيرا منها مشوبا بالرياء والسمعة وحظوظ النفس فكيف تصبر على هذه الحال، وطريقك محفوف بالمكاره والأخطار؟!
- وكيف القدوم على الله وأنت محمل بالأثقال والأوزار؟

كيف أحاسب نفسي؟

أولا: البدء بالفرائض، فإذا رأى فيها نقص تداركه.

ثانيا: النظر في المناهي، فإذا عرف أنه ارتكب منها شيئا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ثالثا: محاسبة النفس على الغفلة، ويتدارك ذلك بالذكر والإقبال على رب السماوات ورب الأرض رب العرش العظيم.

رابعا: محاسبة النفس على حركات الجوارح، وكلام اللسان، ومشي الرجلين، وبطش اليدين، ونظر العينين، وسماع الأذنين، ماذا أردت بهذا؟ ولمن فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته؟

قال أنس رضي الله عنه: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد دخل حائطا، وبيني وبينه جدار، يقول: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين!! بخ بخ، والله لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك!
فقف أيها الحبيب مع نفسك وقفة صدق وقل لها: يا نفس! ليس لي بضاعة إلا العمر، فإن ضاعت بضاعتي ضاع رأس مالي، توهمي يا نفس أنك قد متي وطلبتي من الله الرجعة، وها أنت قد عدتي إلى الدنيا فاعملي قبل أن تتمني الرجعة يوما فلا يستجاب لك، **قال تعالى:** ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: 99-100]

- يا نفس! إن كنت تجترئين على معصية الله وأنت تظنين بأن الله لا يراك فما أعظم كفرك بالله جل وعلا!

- وإن كنت تعلمين بأن الله يراك وأنت مصرة على معصيته فما أشد جرأتك على الله، وما أعظم وقاحتك مع الله عز وجل.
- يا نفس! إلى متى تعصين وعلى الله تجترئين؟!
- ومتى ستعيشين بالإسلام وللإسلام؟!
- يا نفس! متى ستحافظين على قراءة القرآن، وعلى هدي النبي عليه الصلاة والسلام، وعلى تحقيق التوحيد لله، وعلى بر الوالدين، وعلى الإحسان للجيران؟!
- ومتى ستبذلين المال للفقراء؟! ومتى ستحسنين العمل؟! متى متى متى.؟!

يا نفس قد أزف الرحيل وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس لا يلعب بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزل ينسى الخليل به الخليل
وليركبن عليك فيه من الثرى حمل ثقيل
قرن الفناء بنا جميعا فما يبقى العزيز ولا الذليل

فإلى عام جديد سعيد، نقترب فيه من ربنا،
ونقترب فيه من إخواننا،
ونقترب فيه من أهلنا وذوينا.
اللهم اغفر لنا الذنوب،
واستر لنا العيوب،
وفرج عنا الكروب،
وتقبل منا صالح الأعمال،
برحمتك يا أرحم الراحمين.
اللهم آمين.

****

الخطبة الثانية عشر

فضل صيام يوم عاشوراء

عناصر الخطبة:

أولا/ فضل الصيام بشهر محرم.

ثانيا فضل يوم عاشوراء

الخطبة الثانية عشر

فضل صيام يوم عاشوراء

عناصر الخطبة:

أولا/ فضل الصيام بشهر محرم.

ثانيا فضل يوم عاشوراء

أولا/ فضل الصيام بشهر محرم

شهر المحرم من الأشهر الحرم، التي حرم فيها القتال قال تعالى: **(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير)** (البقرة: من الآية 217).

وهو الشهر الوحيد الذي ثبتت تسميته بشهر الله، **كما جاء في الحديث عن أبى هريرة: أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم.** رواه مسلم.

قوله: (شهر الله المحرم) هذه إضافة تشريف وتفضيل، كمثل: بيت الله، وناقة الله.

وقوله: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم) تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم.

- **مسألة: لكن قد ثبت إكثار النبي من الصوم في شعبان؛ وهذا الحديث يدل على أن أفضل الصيام بعد صيام رمضان هو صيام المحرم!! فكيف أكثر النبي منه في شعبان دون المحرم؟**

فيه جوابان:

1- لعله إنما علم فضله في آخر حياته.

2- لعله كان يعرض فيه أعذار، من سفر أو مرض أو غيرهما.

ثانيا فضل يوم عاشوراء

وفى شهر الله المحرم يوم عظيم هو يوم العاشر منه، وقد أطلق عليه:

(يوم عاشوراء)

(عاشوراء) للمبالغة والتعظيم؛ لأن فيه ذكريات غالية، ينبغي تذكرها، ولذا قال رب العزة لموسى عليه السلام **(وذكرهم بأيام الله)** أى بنعم الله عليهم من النجاة من فرعون.

يوم الصوم مع الذكرى والبشرى:

أراد الله سبحانه ليوم عاشوراء أن يظل بارزا حيا، وما ذاك إلا لإحياء الذكرى بهلاك الظالمين، والبشرى بحسن العاقبة للصابرين.

وأما سبب صوم النبي صلى الله عليه وسلم ليوم عاشوراء وحث الناس على صومه فهو: **ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم النبي المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه.**

إن السبب في تعظيم ذلك اليوم والأمر بصيامه، وتكفير السيئات به، يعود إلى ماله من تأثير على حياة البشر، حينما تظل ذاكرة الأمة المسلمة يقظة ومتوقدة للمواقف الفاصلة بين الحق والباطل، ويدل على ذلك ما نلمسه من إدراك النبى صلى الله عليه وسلم لأهمية استشعار البعد التاريخي في الأحداث المعاصرة، فهلاك فرعون موسى بشرى بهلاك فرعون كل مرحلة من مراحل الصراع بين الحق والباطل.

ولذلك جاء في الحديث الذي رواه مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل اليهود ما هذا اليوم الذي تصومونه؟
فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا، فنحن نصومه، فقال: فنحن أحق وأولى بموسى منكم.

ولذا ظل هذا اليوم معظما عبر القرون عند اليهود، وانتقل تعظيمه إلى قريش في الجاهلية، إلى حد أنهم كانوا يصومونه، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية أيضا.

فقد جاء الحديث عن عائشة رضى الله عنه قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه متفق عليه.

والمراد بقول عائشة: فلما فرض رمضان ترك عاشوراء أى ترك وجوبه، أما استحبابه فظل باقيا.

بل إن النبى صلى الله عليه وسلم رغب بعد ذلك في فضل صومه بفعله وقوله، فعن ابن عباس رضى الله عنه قال: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على الأيام إلا هذا اليوم يوم عاشوراء متفق عليه.

وبين النبي صلى الله عليه وسلم فضل صيام هذا اليوم بقوله: وصيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله رواه مسلم.

وهذا من فضل الله علينا أن أعطانا بصيام يوم واحد تكفير ذنوب سنة كاملة والله ذو الفضل العظيم.

ومعنى يتحرى أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه.

وما سبق يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم مر في صيامه لعاشوراء بأربع أحوال:

الحالة الأولى: أنه كان يصومه بمكة ولا يأمر الناس بالصوم.

الحالة الثانية: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، ورأى صيام أهل الكتاب له وتعظيمهم له، وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر به، صامه وأمر الناس بصيامه، وأكد الأمر بصيامه والحث عليه، حتى كانوا يصومونه أطفالهم، والرأي الراجح أنه كان فرضا وواجبا في هذه الحالة.

الحالة الثالثة: لما فرض صيام شهر رمضان، ترك النبي صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة بصيام عاشوراء وتأكيده فيه.

الحالة الرابعة: عزم النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عمره على ألا يصومه مفردا، بل يضم إليه يوما آخر مخالفة لأهل الكتاب في صيامه.

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه مسلم

قال ابن حجر: فلما فتحت مكة واشتهر أمر الإسلام، أحب مخالفة أهل الكتاب أيضا كما ثبت في الصحيح، فهذا من ذلك، فوافقهم أولا، وقال: نحن أحق بموسى منكم، ثم أحب مخالفتهم، فأمر بأن يضاف إليه يوم قبله خلافا لهم. [فتح الباري: (288/4)]

حكم إفراد عاشوراء بالصيام:

صيام يوم عاشوراء كفارة سنة ولا يكره إفراده بالصوم، لكن الأفضل صيام يوم قبله أو يوم بعده، وهي السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

هل يصام عاشوراء ولو كان يوم سبت أو جمعة؟

أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صوم عاشوراء وحض عليه ولم يقل إن كان يوم السبت فلا تصوموه؛ ففي ذلك دليل على دخول كل الأيام فيه.

أيهما أفضل: يوم عرفة أم يوم عاشوراء؟

ظاهر الحديث الوارد أن صيام يوم عرفة أفضل من صيام يوم عاشوراء.

• وقد قيل في الحكمة في ذلك: إن يوم عاشوراء منسوب إلى موسى عليه السلام، ويوم عرفة منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلذلك كان أفضل.

ومما سبق يتبين أن حالات صوم عاشوراء:

الحال الأولى: أن يفرده بالصوم لما جاء في فضل صيام اليوم العاشر مطلقا دون ذكر لصيام يوم قبله أو بعده.

الحالة الثانية: أن يصوم التاسع مع العاشر لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع) أي لأصومن يوم التاسع مع العاشر.

الحال الثالثة: أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده **لقوله صلى الله عليه وسلم: (خالفوا اليهود صوموا يوما قبله أو يوما بعده)** أخرجه أحمد.

الحال الرابعة: أن يصوم يوما قبله ويوما بعده لما روي **(خالفوا اليهود صوموا يوما قبله ويوما بعده)** رواه البيهقي وسنده ضعيف.

تكفير الذنوب:

قال العلماء: صوم يوم عرفة كفارة سنتين، ويوم عاشوراء كفارة سنة؛ كل واحد من هذه المذكورات صالح للتكفير فإن وجد ما يكفره من الصغائر كفره، وإن لم يصادف صغيرة ولا كبيرة كتبت به حسنات ورفعت له به درجات، وإن صادف كبيرة أو كبائر ولم يصادف صغائر، رجونا أن تخفف من الكبائر.

الخلاصة:

1- شهر المحرم من الأشهر الحرم التي حرم الله فيها القتال.

2- أفضل الصيام بعد رمضان هو صيام شهر الله المحرم.

3-سبب إكثار النبي من الصيام في شعبان إما لأنه علم فضل المحرم في آخر حياته أو كان يعرض له مانع يمنعه من صيامه

4- يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم، يوم نجى الله فيه موسى وقومه وأهلك فرعون.

5-النبي كان يصومه في الجاهلية وكانت قريش تصومه أيضا.

6- لما هاجر إلى المدينة أمر بصيامه ثم أصبح مستحبًا بعد فرض رمضان"

7- صيام يوم عاشوراء يكفر ذنوب سنة كاملة.

8-مر النبي في صيام عاشوراء بأربع حالات:

الحالة الأولى كان يصومه بمكة دون أمر الناس بصيامه

الحالة الثانية صامه وأمر بصيامه وكان واجبا

الحالة الثالثة لما فرض رمضان تُرك وجوب صيامه

الحالة الرابعة عزم على صيام يوم قبله مخالفة لليهود.

9-صيام يوم عاشوراء له أربع مراتب

إفراده بالصيام جائز وله فضل

صيام التاسع والعاشر هو الأفضل

صيام العاشر والحادي عشر جائز

صيام التاسع والعاشر والحادي عشر لم يصح فيه الحديث.

10-لا يكره صيام عاشوراء إذا وافق يوم جمعة أو سبت

11- إذا صادف صيام عاشوراء صغائر كفرها، وإذا لم توجد صغائر كتب الله به الحسنات ورفع الدرجات، وإذا صادف كبائر ولم توجد صغائر رُجي أن يخففها.

****

الخطبة الثالثة عشر

يوم عاشوراء

وشكر نعمة الله في إهلاك الظالمين

عناصر الخطبة:

أولا/ من مناقب أبي بكر الصديق.

ثانيا/ أبو بكر ثاني اثنين إذ هما في الغار.

ثالثا/ إنفاق ماله كله في سبيل الله.

رابعا / هل نص النبي على خلافة أبي بكر له؟

خامسا/ وفاة أبي بكر الصديق.

الخطبة الثالثة عشر

يوم عاشوراء

وشكر نعمة الله في إهلاك الظالمين

تمهيد:

عاشوراء هو اليوم العاشر من أيام شهر المحرم، وهو يوم من أيام الله تعالى، كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم، أوقع الله فيه آية من أعظم آياته، ومعجزة باهرة، تلك المعجزة هي إنجاء الله موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وإهلاك فرعون عليه لعائن الله ومن تبعه من المجرمين، فكان هذا اليوم آية وعبرة لكلا الفريقين جميعا: أهل الإيمان والإحسان، وأهل الكفران، والإجرام، والطغيان.

عناصر الخطبة:

أولا / إن فرعون علا في الأرض.

ثانيا/ وما هي من الظالمين ببعيد.

ثالثا /إهلاك الظالمين نعمة.

أولا / إن فرعون علا في الأرض

تبدأ أحداث القصة مع نبي الله يوسف عليه السلام ، حينما بوأه الله مكانة عظيمة بمصر فقد كان عليه السلام عزيز مصر.

واستدعى يوسف أهله ليقيموا معه بمصر، وأقاموا معه في خير منزل وأكرم ضيافة واستوطنوا، وتكاثرت ذريتهم وصار عددهم بالآلاف، بعض الإحصاءات التاريخية تقول إن عددهم جاوز الخمسين أو السبعين ألفًا في ذلك الوقت.

كان حكام شمال مصر في هذا الوقت هم الهكسوس وكانوا ملوكًا، أما حكام مصر فلقب الحاكم وقتها "الفرعون"
وحدثت معركة بين الهكسوس والفراعنة، فطرد الفراعنة الهكسوس وأخذوا ملك مصر كله.

بطبيعة الحال أي جماعة من الناس كانوا موالين لنظام سياسي منتهي يصبحون أعداء للنظام الجديد، وهذا الذي حدث من فرعون لبني إسرائيل حينما استعبدهم واستذلهم لأنهم من وجهة نظره كانوا موالين للنظام القديم.

فعاش بنو إسرائيل عصرًا من أسوأ عصورهم، استذلهم فرعون وقومه واستعبدوا الرجال، فكانوا يخدمون بالسخرة، وفي نفس الوقت كانوا يذبحون الذكور، لما وجدوا أن عدد المواليد يزيد بكثرة وأن هذه المتوالية الهندسية للمواليد بالنسبة لحال المصريين تعني أن بني إسرائيل سيكونون أغلبية؛ فإذا صاروا أغلبية سيكون لهم صوت ويكون لهم مكانة.

ومن باب المبالغة في الإذلال والإهانة صار فرعون يذبح أبناءهم.
فلما كثر الذبح وخافوا أن يفنى بنو إسرائيل، وهم الذين يعملون في السخرة والخدمة بمقابل زهيد أو بلا مقابل غالبًا، قرر فرعون أن يذبح الأطفال الذكور عامًا ويتركهم عامًا.

وولد هارون في العام الذي ليس فيه ذبح، وولد موسى عليه السلام في العام الذي فيه الذبح، وخافت عليه أمه كثيرًا؛ **فأوحى الله تعالى إليها: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [القصص، الآية 7]**

فهذا أمر الله تعالى لأم موسى أن ترضعه ثم تجعله في شيء في صندوق فتلقي به في نهر النيل حتى يأذن الله تعالى له بالنجاة، وطمأنها الله تعالى ألا تخاف ولا تحزن لأن الله سيرده عليها وسيكون رسولًا في بني إسرائيل.

وبعناية الله عز وجل وصل هذا الصندوق إلى شاطئ قصر فرعون حيث يقيم فرعون وحاشيته وجنوده.

فلما جاء الخدم والجواري بهذا الصندوق ورأوا موسى الرضيع، قالت امرأة فرعون: **(قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) القصص، الآية 9.**

وحرم الله المراضع عليه فلم يقبل إلا على أمه، فرده الله إليها كما وعدها.

وبقي موسى في قصر فرعون أميرًا معززًا مكرمًا؛ لا يناله أحد بسوء.

ثم حدثت حادثة أنه دخل العاصمة وقتها، كانت اسمها **"منف"**، فوجد فيها رجلين يقتتلان؛ هذا من شيعته وهذا من عدوه.

فاستغاثه الذي من شيعته من بني إسرائيل على الذي من عدوه يريد أن يعمل عنده بالسخرة أو بدون أجر، وهذا الرجل من بني إسرائيل لا يريد.

فأراد موسى أن يفض النزاع فلم يرضَ المصري أبدًا أن يترك الرجل من بني إسرائيل، فوكزه موسى وكان قويًا أوتي قوة عشرة من الرجال- كما ذكر-، فوكزه موسى فقضى عليه.

كانت الضربة قاضية ولم يقصد موسى أبدًا أن يقتله لكن أجله جاء مع هذه الضربة.

وخرج موسى بعد أن علم أنهم تآمروا عليه لقتله وقصد مدين، ومدين مدينة معروفة الآن بالأردن.

والتقى هناك بامرأتين لهما غنم عند بئر، كانت الفتاتان في جانب والناس يسقون، فتعجب كيف تكون هاتان الفتاتان هكذا والناس يسقون؟

قال: (مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) [القصص، الآية 23]

يعني تشرب دوابهم ويأخذوا ما يكفيهم من الماء ثم ينتهون فنتقدم نحن ونستقي لدوابنا، فقام عليه السلام بشهامة ومروءة فسقى لهما، ثم تولى إلى الظل وقال: **(رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)** [القصص، الآية 24]

وحكت الفتاتان لأبيهما، ويقال إنه نبي الله شعيب لكن لا دليل على هذا، ولو كان لسماه القرآن فهو عبد صالح ربما من نسل المؤمنين الذين كانوا في هذا المكان.

فحكى له قصته، قال: **(لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** القصص، الآية 25.

وعرضت إحدى البنتين على أبيها أن يستأجره: **(إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) القصص، الآية 26.**

فعرض عليه الزواج من إحدى ابنتيه طالما أنه سيدخل ويخرج فالأسلم أن يكون زوجًا.

وجعل مهرها أن يقوم برعاية الغنم ثمانية حجج يعني ثماني سنوات: **(فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ)** القصص، الآية 27.

فوافق موسى، والنبي لما سئل أي الأجلين قضى قال: "أوفاهما"، يعني عشر سنوات.

بعد عشر سنوات اشتاق موسى لأهله بمصر، فأخذ زوجته وأولاده ومضى في اتجاه العودة إلى مصر.

فبينما هو في ليلة شاتية مظلمة باردة رأى نارًا من على بعد. **(إِنِّي آنَسْتُ نَارًا)** طه، الآية 10.

والإيناس هنا لأنه كان في وحشة، ضل الطريق في ليلة شاتية مظلمة.

فقال: (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) [طه، الآية 10.]

وكان من عادة الناس في القديم إذا كان هناك أحد في المكان يشعل نارًا في قمة الجبل فيراها المسافرون ويرون أن هنا أمانًا للنزول وللمبيت ثم بعد ذلك يكملوا سفرهم.

فقال: إني آنست نارًا سأذهب وأجد شعلة تستدفئون بها أو على أقل تقدير أسألهم عن الطريق الصحيح، أو أجد على النار هدى.

فكان الشرف الكبير حينما اقترب من هذه النار فناداه الله رب العالمين: **(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ)** [طه، الآيات 11-16.]

وأجرى الله لموسى آيتين يراهما بعينه حينما يلقي عصاه فتنقلب إلى حية، ويدخل يده في فتحة الجيب فتحة العنق وكان أسمر اللون فتخرج بيضاء كالثلج من غير سوء يعني من غير مرض.
وذهب موسى إلى فرعون كما أمره الله تعالى ، وأجرى الله على يديه تسع آيات أولها اليد والعصا.

فلما عتا فرعون وقومه واستكبروا عن الإيمان، سلط الله تعالى عليهم السنين بأن منع عنهم ماء المطر، فأصابهم قحط شديد، ونقصت الثمرات حتى أشرفوا على الهلاك، ثم أرسل الله عليهم آية عكسية بعد الجدب والقهر أرسل عليهم الطوفان، ثم الجراد الذي يأكل الزرع ، ثم القمل ، وهو نوع من

الحشرات، ثم أرسل عليهم الضفادع ملأت عليهم بيوتهم وطرقهم حتى صارت الحياة جحيمًا، ثم تحولت مياههم كلها إلى دماء.

تسع آيات بينات أجراها الله على يدي نبيه موسى، فلم يؤمن من آل فرعون إلا آسية زوجة فرعون، ورجل من آل فرعون.

ثم شاء الله تعالى أن يؤمن السحرة الذين استعان بهم فرعون للقضاء على موسى باعتبار أنه ساحر، فسجد السحرة جميعًا وقالوا: **(آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ)** الأعراف، الآيات 121-122.

بعد ذلك اشتد أذى فرعون، وكلما أراهم الله آية من آياته استغاثوا ورجعوا وقالوا: **(يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل)[الأعراف: 134]**

وفي كل مرة ينقضون عهدهم، ولا يفعلون شيئًا، وهذا من أدل الدلائل على ضلال القوم وإصرارهم على الباطل.

ووقف فرعون فيهم مغرورًا معجبًا بنفسه، وقال: **(يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي)** [القصص، الآية 38.]

وكان المصريون في هذا الوقت يعبدون كل شيء يضر لدفع ضرره وكل شيء ينفع لجلب منفعته، فعبدوا البقر وعبدوا الحيات وعبدوا أشياء كثيرة. فكان فرعون يعد نفسه رب هذه الأشياء كلها فقال لهم: **(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ)** [النازعات، الآية 24.]

أربعين سنة يدعو موسى فرعون وقومه للإيمان بالله عز وجل، لكن طبع على القلوب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكان المشهد الأخير لفرعون مع قومه حينما قال لهم: **(أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ)** الزخرف، الآيات 51-53. يقصد نبي الله موسى ولا يكاد يبين. قال الله: **(فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)** الزخرف، الآية 55.

غرق فرعون ونجاة موسى عليه السلام

أمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل في اتجاه البحر الأحمر، وعلم فرعون في الصباح بخبرهم ، فاتبعهم بجنوده، وهنا صار الموقف صعبًا وعصيبًا،

بنو إسرائيل أمامهم البحر وخلفهم فرعون بجنوده، وكانت مصر دولة عظمى، قوية عسكريًا، فجيش فرعون من أقوى الجيوش، قالوا: **(يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) الشعراء، الآية 61. قال: (كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)** [الشعراء، الآية 62.]

أنا أتبع أمر الله والله تعالى سيهديني إلى الطريق الصحيح، فأرى الله بني إسرائيل آية عجيبة ، وهي: أن موسى ضرب البحر بعصاه فيبس ماء البحر، تجمد ماء البحر وصار جسورًا لبني إسرائيل يعبرون عليها بقدرة من يقول للشيء كن فيكون.

وجعل الله تعالى لبني إسرائيل 12 جسرًا يعبرون عليها، كل سبط من أسباط بني إسرائيل يعبر على جسر منها.

فلما رأى فرعون ذلك اقتحم البحر بفرسه، فأطبق الله عليه الماء فغرق هو وجنوده وانتهى أمره وانتهى جيشه ولم تقم له قائمة.

وكان القدماء المصريون معروفين بموضوع التحنيط، فجثته أو المومياء كما يسمونها الآن بقي إلى يومنا هذا في المتحف المصري، مومياء رمسيس الثاني، وصورته موجودة على المواقع المختلفة ، وهو مومياء.

وهذا مصداق قول الحق جل وعلا: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) [يونس، الآية 92.]

وعلى الرغم أنه أمر عظيم وحدث جليل يستدعي النظر والتسجيل، وهو غرق فرعون بجيشه كاملًا إلا أن كتّاب تاريخ الفراعنة، أو الدولة المصرية القديمة لا يتعرضون لهذا المشهد أبدًا، ولا يذكرون له أي سيرة، وكأنه غير موجود؛ رغم أن هذا حدث كبير ومشهور وكان قاصمة الظهر لهذه الدولة في هذا الوقت ، وآية من آيات الله عز وجل الدالة على صدق موسى، والذي جاء به من الله سبحانه وتعالى.

ثانيا/ وما هي من الظالمين ببعيد

وفي ذلك الحدث عبرة أيما عبرة لنهاية ظالم كان له الأمر والحول والطول والقوة والجند والجيش والأتباع، الآن صار جثة هامدة لا حول له ولا قوة.

وليس فرعون فقط هو الذي يكون مصيره بقدر ظلمه.. وإنما قراءة التاريخ تدل على أن هذا حال كل طاغية جبار متكبر في الأرض، يزين للناس الباطل

ويشوه الحق، ويحكم أهواءه ويتسلط ببطشه وجبروته ويذيق الناس سوء العذاب.

إن معركة الحق مع الباطل معركة ممتدة عبر التاريخ، وما قصة موسى وفرعون إلا مثال لهذه المعركة، وموكب الحق على امتداد هذه المعركة وطولها يواجه الضلال والطغيان والاضطهاد والبغي والتهديد والتشريد.

والمؤمنون وإن كانوا يعيشون الاضطهاد في أغلب الأحيان وفي أكثر البلدان، وتتحكم فيهم قوى الشر ويتكالب عليهم كل عدو لله ولدينه ولأتباعه فيسومونهم سوء العذاب، حتى إن حداءهم في أكثر الأحيان متى نصر الله؟

إلا أنهم مع هذا كله تأتيهم ذكرى عاشوراء وأمثالها فتذكرهم بأن نصر الله قريب، وأن الله معهم يسمع كلامهم، ويرى مكانهم، ويعلم سرهم وجهرهم، وأنه لا يخفى عليه شيء من أمرهم، وأنه كما كان حاضرا مع موسى وقومه في زمان فرعون فهو حاضر في كل وقت وحين، وفي زمان كل فرعون، فتكون هذه الذكرى زاد الصمود، وأمل النصر، وفرحة الخلاص من الجبابرة مهما كانت قوتهم.. فلابد للحق أن يظهر مهما بدا ضعيفا وأنصاره، ولابد للباطل أن يزهق مهما بلغت قوته وبطشه {**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**} (الأنبياء:18).

ومشهد غرق فرعون، ونجاة بني إسرائيل مشهد تنخلع له القلوب إجلالًا لله سبحانه وتعالى.

مشهد نجاة المؤمنين وهم يعبرون الماء لا يصيبهم سوء يدلل على عظمة الله سبحانه وتعالى: **(لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ)** [طه، الآية 77.] لن يدركك فرعون ولن تخشى أنت وقومك من الغرق.

مشهد هلاك القذافي:

أشبه موقف بهذا المشهد موقف القذافي لما كان يسمي الثوار بالجرذان ، ثم كان مشهد نهايته الذي رأيناه بجانب مجاري الصرف ، وقاموا بقتله بناءً على جرائمه الكثيرة وقتله للآلاف.

وانتشر وقتها مشهد مصور وهو جثة هامدة ، وشخص يكلمه ويقول له هل أغنى عنك ملكك شيئًا؟ هل أغنى عنك جيشك شيئًا؟ هل أغنت عنك سلطتك شيئًا؟ جثة هامدة لا حول له ولا قوة.

إنها عبرة لكل ظالم وعبرة أيضًا لكل مظلوم أن كل ظالم له نهاية والله يملي ويمهل لكنه لا يهمل جل جلاله.
ربما نحن نستعجل، ونريد مشهد النهاية لكن لله تقدير سبحانه وتعالى.

فالله جل وعلا بحكمته البالغة يملي لهذا الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ابتلاء للمؤمنين ، ويصطفي الله من شاء من الشهداء ويجعل الله تعالى اختبارًا لقوة الإيمان والثقة في الله عز وجل.

يا أبت، بعد العز، أصبحنا في القيد والحبس :

وحملت كتب التاريخ بعضا من المواقف ذات التعبير الشديد للمفارقة بين الحالين، فبعد عهد تجبر فيه البرامكة حينما كانوا وزراء في عهد الرشيد ثم عزلوا وسجنوا وقبعوا في السجون التي طالما حبسوا فيها غيرهم، جمع موقف بين يحيي البرمكي وولده فسأله الابن يا أبت، بعد العز، أصبحنا في القيد والحبس، بعد الأمر والنهي، صرنا إلى هذا الحال؟ فقال يا بني، دعوة مظلوم، سرت بليل، ونحن عنها غافلون، ولم يغفل الله عنها.

ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره:

ولما فتحت قبرص بكى أبو الدرداء رضي الله عنه؛ فسئل ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟، فقال ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينما هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك، إذا تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

ثالثا /إهلاك الظالمين نعمة

ويشاء الله سبحانه أن يري الأمة الإسلامية كل فترة نماذج من هلاك الظالمين لتكون لنا عبرة وآية، فكما أرانا تجبرهم وتسلطهم يرينا مصرعهم وذلهم حتى نوقن أن الله وحده يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء لندرك أن الله وحده بيده الخير وبيده الأمر وله الحكم وليس لأحد سلطان غيره.

نعم إهلاك الظالمين نعمة من الله تستحق الشكر، فوجودهم في الأرض أصل كل مفسدة، وذهابهم عنها أو إخضاعهم لقوة الحق من أعظم المقاصد وأكبر المصالح ولذلك لما حكى الله إهلاكه للظالمين من الأقوام السابقين عقب على

ذلك بحمد نفسه على نعمته وشكره على حكمته فقال: {**فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**} (الأنعام:45)

ومن هنا كان صيام نبي الله موسى لهذا اليوم شكرا لله على إنجائه، وقومه، وإهلاك فرعون، وقومه.

ورؤية مصارع الظالمين تزيد الإيمان لانتقالها من علم اليقين إلى عين اليقين، فعندما يرى المؤمن المفارقة العجيبة بين موقفين، موقف الظالم وهو في أوج قوته وسطوته واستعلائه وتكبره، يكاد يظن في نفسه أنه يقول للشيء كن فيكون، وبين موقف آخر يراه فيه ذليلا منكسرا – حيا أو ميتا – لا حيلة له ولا إرادة ولا سطوة، يراه مهزوما منكسرا ينتظر ما يفعل به أن كان حيا ويقلبه الناس ميتا على وجهه وظهره فلا يحرك ساكنا ولا يأمر ولا ينهي، ساعتها يخر المؤمن ساجدا لربه بعدما أراه مثل هذه الآية العظيمة.

كان نبي الله موسى يصوم هذا اليوم ويصومه المؤمنون من بني إسرائيل شكرًا لله على نجاتهم.
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصومه، ثم أراد بعد ذلك مخالفة اليهود فسن لنا صيام التاسع والعاشر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله: ما هذا اليوم الذي تصومون؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا، فنحن نصومه، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: نحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله – صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه رواه البخاري ومسلم.

فهذا اليوم نحن نصومه فرحًا بهلاك ظالم من الظلمة تسلط على عباد الله المؤمنين في زمانهم بني إسرائيل، فأهلكه الله تعالى وأرى الله عباده آية من آياته وهي غرق فرعون وجنوده ونجاة المؤمنين الموحدين.

نحن أمة ترضي الله سبحانه وتعالى وتحب الخير للجميع، فنجاة الموحدين من بني إسرائيل في زمانهم نعمة نشكر الله تعالى عليها نحن المؤمنين، رغم أننا لم يصبنا شيء من كيد فرعون ولا من أذاه ولم نعش هذا الزمن.

وننتظر البشرى

وإنا لننتظر اليوم الذي تقر فيه أعين المؤمنين،

لنخر سجدا لرب العالمين بنهاية ظالم آخر

مستبد ممن عاثوا في الأرض فسادا وإفسادا،

وإنا لنراه قريبا بإذن الله.

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله،

وما ذلك على الله بعزيز.

نسأل الله أن يتقبل من الصائمين صومهم

ونسأل الله أن يفرج كربة عن كل مكروب

وأن يعجل بنهاية كل ظالم مجرم يعتدي

على الحرمات وعلى الأموال وعلى الأعراض

وأن يقر أعيننا جميعًا بعز الإسلام وعز الموحدين.

****

فهرس الموضوعات

الموضوع	ص
المقدمة	4
التاريخ الهجري هوية أمة وتاريخ حضارة	6
(2)الهجرة درس في التوكل والأخذ بالأسباب	15
(3) الهجرة النبوية دروس وعبر	24
(4) الله ابتعثنا المهام الثلاث لهذه الأمة	35
(5) من دروس الهجرة لماذا يعادون الإسلام؟	45
(6) المبشرات بانتصار الإسلام	53
(7) في ظلال الهجرة الإسلام وتحرير الإنسان	61
(8) في ظلال الهجرة محاسن دين الإسلام	69
(9) أبو بكر الصديق ثاني اثنين إذ هما في الغار	77
(10) مصعب بن عمير	89
(11) بين عامين وقفة صادقة مع النفس	96
(12) فضل صيام يوم عاشوراء	103